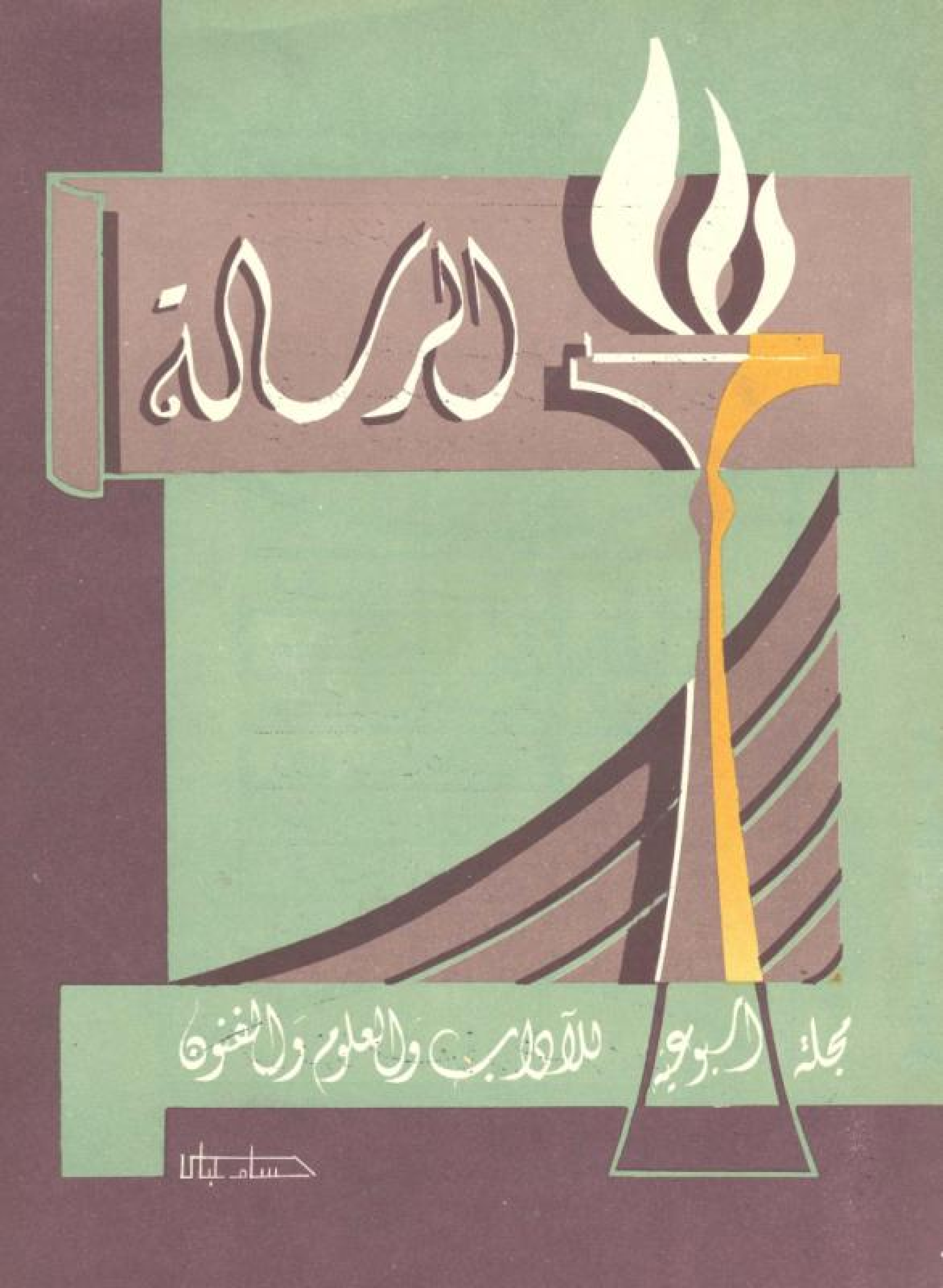

الرسالة
مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير:
احمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٤٢٧٩٤
٥٣٩٤٠

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة.

العدد ١١١٦ ـ الخميس ٣ صفر ١٣٨٥ هـ ـ ٣ يونيو ١٩٦٥ م ـ السنة الثانية والعشرون

كيف مهد الأدب للثورة وبشر بالوحدة

بقلم: أحمد حسن الزيات

(٤)

قلت ان الدول المستعمرة الغادرة ، بما أخلفت من وعدها للحسين ، وبما نقضت من عهدها للعرب ، قد وضعت أيديها بعد الحرب العالمية الأولى على ما بقى فى أيدينا من تراث محمد باسم الوصاية أو الحماية أو الانتداب ، فأصبحت مراكش والجزائر وتونس وسورية ولبنان فى يد فرنسا ، ومصر والسودان وفلسطين والعراق والبحرين والكويت وعمان وعدن فى يد انجلترا ، وليبيا بولاياتها الثلاث فى يد ايطاليا • وهذا الملك العربى العظيم كان قد آل الى الخلافة العثمانية بعد أن سقطت الخلافات العربية الثلاث فى العراق وفى مصر وفى الأندلس ، فما زالت هذه الدول تنقص من أطرافه ولاية بعد ولاية وقطرا بعد قطر حتى أتت عليه كله بمعاهدة لوزان سنة **١٩٣٢** ، فلم يعد لأبناء العروبة بعد هذا التمزيق والتفريق من وسيلة يتعارفون بها ، ولا من سبيل يتواصلون عليها غير الأدب •

كانت الكتب المصرية والمجلات المصرية تجتاز الحدود المزعومة على الرغم من رقابة المحتل وارادة المستعمر ، فتدخل المدارس فى كل قطر ، وتقتحم البيوت فى كل مدينة ، حاملة الى الاخوة الأشتات نبضات الروح العام وومضات المجد المشترك • والأدب صلة الأول بالآخر ، ورباط الماضى بالحاضر ، وتراث الأجداد للأحفاد • وهو أرواح آبائنا وعقول أدبائنا تتدفق فى دمائنا وأعصابنا فتملؤنا حياة وقوة وفخرا وأملا وعملا وحرية وعزة •

عرف كل عربى عن طريق الكلمة المكتوبة أن له من وراء الآفاق المحجوبة اخوة يقاسمونه المحنة ويبادلونه العطف ، فقويت نفسه واتسعت آماله •

وكانت الثورة المصرية الثانية قد زلزلت أقدام المحتـــل الغاصب وهزت أركان الشرق الأوسط ، فحركت أنباؤها العراق فهب يقول ما قاله زعماء مصر،ويفعل ما فعله أبناء مصر ، ويطلب من الانجليز المحتلين أن يكشفوا عن بصره الغطاء ليرى ، وأن يرفعوا عن فمه الكمامة لينطق ، وأن يعقدوا مؤتمرا يمثل الشعب العراقى ليقرر نظام الحكم ويختار رئيس الدولة ، فأبى الانجليز عليه ذلك ، ونفوا من نفوا ، واعتقلوا من اعتقلوا • فثار العراقيون عليهم ثورة الأباة الأعزة بعد أن أفتاهم أئمتهم بالجهاد المسلح ، وغذاهم أدباؤهم بالشعر المثير •

من ذلك قول السيد باقر الشبيبى :

بنى العرب لا تـــاموا للعـــدا مـكرا | خذوا حذركم منهم فقد أخذوا الحـذرا
يريدون فيكم بالوعـــود مكيـــدة | ويبغون ان حانت بكم فرصـة غـدرا
فلا يخـــدعنكم لينهم وتذكـــروا | أضـــاليلهم فى الهند والكذب فى مصرا
ومن مات دون الحق والحق واضـح | اذا لم ينل فخـرا فقد ربح العـــذرا

وقول خيرى الهنداوى من قصيدة يخاطب فيها وطنه :

أنت أذنبت أم بنـــــوك أم | الظلام شـــاءوا أن يغصبوك الحقوقا
بيّـــوا أمرهم بليـــل وجاءو | ك جميعـــا يتلو فريق فريقـا
حاولوا لا أبا لهـــم أن يكون | الشرق كالعبـــد مستضاما رقيقا
فنهضنا كالأســـد فى أوجه القو | م لنجتث بغيهم والفســـوقا

وانبث الشعراء والخطباء فى الفرات وقراه يؤلبون القبائل ، ويحمسون الكتائب، حتى رأى الانجليز أن الثورة جد، وأن مقاومتها هزيمة فأذعنوا كعادتهم لسلطان القوة، واستجابوا على رغمهم لمطالب الأمة ، ووطئوا عرش العراق للملك فيصل فاعتلاه فى أغسطس سنة ١٩٢١ • واستقر الأمر بعض الاستقرار ، ولكن الأدب لم يستقر ، وانما ظل متبرما بهذا الاحتلال ، ملحا فى طلب الاستقلال، ساخطا على الذين يمكنون للمحتل بالسياسة المذبذبة والقيادة المستسلمة •

ويحضرني من ذلك قول الرصافي من قصيدة :

من أين يرجى للعراق تقدم — وسبيل ممتلكيه غير سبيله
لاخير في وطن يكون السيف عند — جبانه ، والمال عند بخيله
والرأى عند طريده ، والعلم عند — غريبه ، والحكم عند دخيله

وقوله من قصيدة أخرى ، يخاطب فيها المرحوم أمين الريحاني :

واذا تسأل عما — هو في بغداد كائن
فهو حكم مشرقي الضر — ع غربي الملابن
وطني الاسم لكن — انجليزي الشناشن
قد ملكنا كل شيء — نحن في الظاهر لكن
نحن في الباطن لا نملك — تحريكا لساكن

ثم كان هذا النجاح الجزئي الذي ظفرت به الثورة المصرية والثورة العراقية قد شجع سورية على أن تطلب من فرنسا ما تطلبه كل أمة تعرف أن لها وطنا لا يملك أحد غيرها أن يصرف أمره ويقرر مصيره . ولكن الفرنسيين الذين يتبجحون بأنهم أول من ثاروا ليعلنوا حقوق الانسان أبوا أن يعترفوا للسوريين بأنهم ناس كسائر الناس لهم وطن لا يشركون به ، واستقلال لا يساومون عليه ، وسلطان لا ينزلون عنه . فكان من ذلك أن شبت الثورة السورية سنة ١٩٢٥ ولم ينطفيء لظاها الا بسقوط الانتداب وقيام الجمهورية في سنة ١٩٣٢ .

وكان من الشعراء الذين حملوا الوقود لهذه الثورة : شوقي وحافظ في مصر ، والرصافي والزهاوي في العراق ، والغلاييني والحومانى في لبنان ، وطوقان وفتى الجبل في فلسطين ، والشاعر القروي أبو الفضل الوليد في المهجر .

وهكذا نجح الأدب في اضرام النار على دول الاستعمار حتى صار لكل قطر من أهله دولة ، ولكل دولة مع أخواتها هدف . والهدف في هذه المرة كان السعي لجمع ما تبدد من الشمل ، وتوحيد ما تشتت من القوة ، حتى تكون الوحدة التي تحقق الاستقلال وتضمن السيادة .

والوحدة والجماعة هما لباب العقيدة الاسلامية . فالوحدة هي الأساس الذى حمل ، والجماعة هي الصرح الذى قام . كانت الوحدة هي الأساس لأنها توحيد لله وتوحيد للأمة وتوحيد للكلمة وتوحيد للسلطة وتوحيد للقبلة . وكانت الجماعة هي الصرح لأنها جمعة القلوب التي ألف بينها الله ، وجملة الشعوب التي رفع شأنها محمد.

ثم قامت سياسة الاسلام على استدامة القوة بالمحافظة على الوحدة والحرص على الجماعة . فالفرد الذى يكفر بوحدة العقيدة والأمة يقتل . والطائفة التي تبغى على جماعة المسلمين تقاتل . والصلاة انما يعظم أمرها ويضاعف أجرها اذا أديت في جماعة، وهذه الجماعة تتكرر خمس مرات في كل يوم ، ثم تكبر في صلاة الجمعة كل أسبوع ثم تعظم في صلاة العيدين كل عام ، ثم تضخم في أداء الحج مرة في كل عمر . فالوحدة اذن عمل توجبه العقيدة . وتقتضيه الطبيعة . ولقد كان للصحافة الأدبية المصرية أعظم الفضل في تهيئة النفوس لها بالتعريف والتأليف والنصح . كانت تدعو الى الجامعة العربية لأن التكتل هو الدواء الذى عالجت به الطبيعة ضعف النمل والنحل وكل حيوان كتب عليه أن يعيش في جماعة . وكانت سياسة الاستعمار تدعو الى الاقليمية ، لأن التجزؤ يسهل عليه ابتلاع العالم العربى قطعة قطعة . وكان الوطن القومى في الخمس عشرة سنة الاخيرة قد نضج وقوى واستجاب للأدب الداعى الى الوحدة .

ثم استرخت قيود الاستعمار وأغلاله من جراء الحرب العالمية الثانية ، فقصرت يد فرنسا ، ولانت يد انجلترا ، وامتدت يد أمريكا ، وهددت يد روسيا . وكان من أثر هذه الظروف المساعدة أن استقلت سورية ولبنان ، وأوشكت أن تستقل مصر والعراق ، ونهضت لتستقل مراكش وتونس، وازدادالتضامن والتعاون بين أمم العروبة فأسست حكوماتها جامعة الدول العربية .

وجامعة الدول العربيـــة كانت غاية لوسيلة أدق وأشق . وستكون باذن الله وسيلة لجامعة أتم وأعم .

أما الكلام عن تمهيد الأدب للثورة الناصرية فقد سبق القول فيه (١) .

نسأل الله أن يرفع للشرق رأسه المفكر ،وهو العرب ، وأن يحفظ للعرب قلبه النابض وهو مصر .

« احمد حسن الزيات »

---

(١) انظر العدد (٦٥) .

باب ..

الفحص عن أمر دمنة

بقلم : محمود محمد شاكر

- ١٩ -

كان كليلة ودمنة ، من بنات آوى ، وكانا أخوين، وكان بينهما من الاختلاف ما بين الخير المحض ، والشر المحض . لم يزل أحدهما مخلصا ، صادقا ، صريح القول ، شريف النفس . والآخر خبيث ، محتال ، كذوب ، فاسد النفس ، خسيس الطباع . فكان من شأن دمنة أنه بقى دهره يمشى بين أصحاب الملك (الأسد) بالشر ، ويبغيهم الغوائل ، ويمكر مكرا بعد مكر ، وهو على مثل اليقين أن أمره لن ينكشف، لما كان قد أحكمه من التخفى والمراوغــة ، وابدائه ظاهرا بريئا،يستر به ما كان يأكل قلبه من السخائم والضغائن والحقود . فلما طال عليه الأمد ، وأنكر أخوه كليلة ما استشرى من خبائثه ، خلا به وقال له : « لقد ارتكبت مركبا صــعبا ، ودخلت مدخلا ضيقا ، وجنيت على نفسك جناية موبقة ، وعاقبتها وخيمة . وسوف يكون مصرعك شديدا ،اذا انكشف للأســد أمرك واطلع عليه ، وعرف غدرك ومحالك (المحال ، بكسر الميم ، الكيد والمكر المفضى الى اهلاك الناس) ، وبقيت لا ناصر لك ،فيجتمع عليك الهوان والقتل مخافة شرك ، وحذرا من غوائلك » .

وهذان الأخوان مثل دائر فى النــاس ، ولم آت هذا المكان لأقص القصة ، وأستنبط العبرة ، ولكنى جئت لكى أتولى كشف الغطاء عن السرداب المظلم الذى وصــفته مرارا ، والذى تســعى فى جنباته حيات وأصــلال وأفاع ، لهــا لدغ فى الظلمات ، وخشيت أن لا يكون للدغاتها طبيب . و « السرداب المظلم » ، هو هيئة « التبشير العالمى » التى نشأت منذ عهد طويل ، وقصصت خبرها فيما ســلف ، و « الحيات ، والأفاعى ، والأصلال » هى أعــوانها المنبثون فى كل مكان ، على صــور متعددة ، وفى ثياب مختلفات الأشكال والألوان .

وهذه السوام القاتلة ، هى « دمنة » هذا الزمان ، ولكن ليس له « كليلة » يردعه وينهاه ويعظه .

ولكن ... ما هذه الجهامة ؟ وهل تجده حسنا أن تقبل على الناس بهذه الأسارير المتقبضة ، وبهــذا الجد الصلب ، وبهذه الشراسة الصارمة؟ هكذا قالت لى نفسى . فأجبتها : وماذا أملك ، اذا كان لعب الأطفــال ، قد يفضى الى اضرام نار تأكل الرطب واليابس ، واذا كنت قد رأيت بعينى أول لســان منها قد هم بأن يندلع ؟ أليس لزاما على أن أقطعه قبل أن يتشبث بشىء فيشتعل ، فيحتدم ، فيستطير فيه اللهب يمينا وشمالا ، ثم لا يبقى شىء الا قضمت فيه قضمة فتســعرت ؟ فأجابتنى نفسى : حلا ، يا أبا فهر ! (أى تحلل من قولك ، ولا تشدد) ، فان الأمر لأهون على الله مما تصف ! فانك لا تخاطب نواما ولا غافلين ، وعسى أن يكون فى الناس من يجد ما تجد ، ويعرف أكثر ممــا تعرف ! قلت : نعم ، صدقت ، ومن ظن فى نفســه الظنون ، أورده الظن المهالك ، وقبيح بالمرء أن يرى نفســه العاقل ، والناس تبعا له وعالة عليه . قالت : واذن ! قلت : واذن .

واذن ، فلنتخفف ببعض الباطل ، ليكون ذلك معوانا لنا على طلب الحق ، وببعض الهزل ، ليكون أسرع بنا فى طريق الجد . كان عجيبا عندى أن تتخذ صحيفة الاهرام لنفسها « مبشرا ثقافيا » . (وهو صبى مبشر على الحقيقة ، ولا أدرى كيف أخرجته الصحيفة من زمرة الصبيان ، الى زمرة المعلمين !!) . ووجه العجب ، أن هذه الصحيفة التى أوجدتهــا « هيئة التبشير العالمى » . (ولا تخطىء ، فالتبشير والاستعمار اخوان لأب وأم كما قلنا مرارا) . كان منشئها هو « بشارة تقلا » ، الذى أقســم لعرابى بشرفه ودينه (!!) أنه واحد من الوطنيين المخلصين، وأنه يعمل لحرية بلادنا ، فلما قبض على عرابى ، دخل عليه وتوقع عليه أشد التوقع ، ثم بصق فى وجهه شامتا ، فقال عرابى الرجل المهذب ذو الدين والعقل ، فى مذكراته : « فرأيت أن الرجل خائن ، ولا شرف له » ولم يزد . ومع ذلك ، فقد استمرت صحيفة الأهرام منذ بشارة تقلا تعمل ، ولكنها لم

نجرؤ أن تتخذ « مبشرا ثقافيا » مستعلنا بجميع حماقاته ، ولكن ما كاد الشعب يضع يده على أخطر أدوات الاعلام » ، وهي الصحافة ،حتى رأينا صحيفة الأهرام قد اتخذت هذا الصبي المفلت من الأسوار « مبشرا ثقافيا » ، يعلن جميع حماقاته على الناس بلا حياء · كيف كان هذا ؟ قلت مرارا : انني لا أدري كيف كان ذلك · وعلم ذلك عند من استخدمه، وحماه ، وصبر عليه ، مع شناعة ما بدا من جهله وسخفه وسوء أدبه · ولكن هل خلقنا الا لنعجب ؟ ومن فقد القدرة على العجب هلك · وقد قالت الحكماء : « أعجب من العجب ، ترك التعجب من العجب » · وقيل لشيخ هم (بكسر الهاء ، وهو الشيخ الكبير البالي) : أي شيء تشتهي ؟ فقال : أسمع بالأعاجيب ! وصدق ، فما خير الحياة اذا بقي الانسان فيها ، لا يجد شيئا يحركه ، ويستخرج منه البكاء ، أو الضحك ، ورحم الله الشاعر الفارس علي بن الغدير الغنوي ، حين أبان عن هذا المعنى أحسن ابانة في قوله :

وهلك الفتى أن لا يراح الى الندى
وأن لا يرى شيئا عجيبا فيعجبا

وقد كشفت في مقالاتي عن عجب لا ينقضي ، يأتينا به هذا الطليق من القيود ، فيظهر ، والله أعلم، أن مؤسسة الأهرام أرادت أن يبقى لنا في حياتنا شيء نتشبث به لنبقى ، فحرصت على أن لا يفارقها هذا الصبي العاقل (هكذا جاءت صفته هنا ، وجرى بها القلم ، وهو سيد مطاع !) ، فكأنها نظرت الينا بعين الرحمة والاشفاق حبا في اطالة آجالنا على الأرض ! فان كان ذلك كذلك ، فليس لها عندنا الا الشكر ، وأن نسأل الله لها مضاعفة الأجر ·

واذا كانت مؤسسة الأهرام قد نظرت الينا بعين الرحمة والاشفاق ، فاقتداء بها ننظر نحن الى قرائنا أيضا بعين الرحمة والاشفاق ، ونأتيهم بالعجب الذي يحركهم ، حتى تطول آجالهم ، أليس هذا من العدل ومن حسن الخلق ، ومن عرفان الجميل ؟ وقد أسلفت البيان عن شيء يتهمني به بعض الناس ، ويصوغونه في قضية لا أحبها ، لأنها باطلة ، ولأني لا أعمد الى هذا الضرب الذي يلقون على تهمته · فبعضهم يزعم أني قد تجنبت « الموضوعية » فيما أكتب ، وخرجت الى سب هذا الشيء المسمى « لويس عوض » ، ووقعت في شتيمته ! وهذه قضية باطلة ، لأني شرحت كل أمر منذ كتبت عن رسالة الغفران ، وعن العامية ، وعن التبشير ، شرحا « موضوعيا » ، واحتجت الى أن أستخرج طبيعة هذا الشيء المسمى « لويس عوض » ، من نص كلامه ، من ظاهره وباطنه · فكان لا بد من وصفه بالفاظ ، فاذا كانت هذه الألفاظ نابية اذا وضعت في غير مكانها ، فهي اذا وضعت في مكانها عين الحق · لا يستطيع الطبيب ، والكاتب المحلل كالطبيب ، أن يشخص مرض انسان تتخالج أعضاؤه ، ويلتوي لسانه ، ويلوح الزبد أبيض عند منتهى شفتيه اذا هاجت مرته ، وتتساقط الكلمات من فمه بلا رباط مفهوم ، فيقول مثلا : « هذه أحداث عارضة للبدن » ، لأنه اذا قال ذلك ، لم يفهم سامعه شيئا ذا بال ، بل لعله قد غرر به · ولكن اذا قال « هذا مجنون ينبغي أن يقيد حتى يشفى » ، فقد أفهم ، ودل أهله على الواجب عليهم في أمره ، ووقاهم شر الغموض في شأنه ·

فأنا مثلا قد قلت ان هذا الانسان « **شرلتان** » ، وهذه احدى صفاته الكثيرة ، وأوجدت الدليل على « شرلتته » ، في مواضع كثيرة جدا مما سلف · واستحسنت هذا اللفظ ، لا لأني أحب أن أدخله في العربية ، بل لأني وجدت حروفه ، وحركات حروفه، لها دلالة على طبيعة كتابة هذا الانسان ، ووافقت هذه الدلالة الظاهرة ، باطن معنى هذا اللفظ الأعجمي ، فاستحسنته لذلك ، واستخرجت له فعلا ومصدرا ، ليكون خاصا به وحده دون سواه ، الا أن يدخل معه شبيه به ، ممن دخلوا مدخله ، وعاهدوا « الثلوج الغزيرة المنشورة على حديقة مدسمر ، في خلوة مشهودة بين أشجار الدردار ، عند الشلال بكامبردج » ، كما جاء في بلوتولند ، وقصائد أخرى!! وسواء أكانت الخلوة المشهودة بين أشجار الدردار عند الشلال بكامبردج حقيقة ، أم كانت رمزا لمكان شبيه به ! فاذا كانت الدلائل التي أسلفتها لم تكن مقنعة بعد ، فسآتي بدليل آخر على « الشرلتة » ، من آخر ما كتب ، فعسى أن لا يتهمني بعد ذلك أحد بأني أرضى لنفسي أن أسب هذا الانسان ، مع أني قد كرهت حمل القلم منذ أجريت مداده بخط اسمه على الورق ! ولا أقول هذا سخرية به ، بل تنزها من مقارفة الخبث والخبائث ·

فلننظر الآن كيف كان هذا المخلوق « شرلتانا » ؟ وقد سألني كثير من الناس عن معنى « الشرلتان » عند الأعاجم ، ولم يقنعوا بمرادفاته التي ذكرتها

مقابلة له في العربية ، كالدعي ، والدجال ، والمشعوذ ، الى آخر هذه الصفات التي يمسك بعضها بثياب بعض ، أو برقاب بعض اذا شئت . فأصل « الشرلتان » عند الأعاجم ، هو المشعوذ الذي يقف على لقم الطريق ، (واللقم ، بفتح اللام والقاف ، وسط الطريق أو رأسه) ، يحسن بضاعته لتنفق عند الناس ، ويزين عوارها وفسادها بألفاظ مفخمة محبرة ، تميل اليها أسماع العامة ، وتأخذهم من غفلاتهم ، فيكونون أسرع استجابة للفظه ، وتكون أيديهم أعجل الى جيوبهم، فهو سارق أموال باللفظ المحبر ! ثم استعمل « الشرلتان » ، لأخيه وشبيهه ، وهو الرجل الذي لا يزال يلوك ألفاظا يتلقطها من هنا ومن ثم ، بلا عقل ، وبلا تمييز ، ثم يتخذ الدعوى العريضة وسيلة للاقناع ، ثم يلبس من التظاهر لباسا كالطبل ، ظاهره ضخم وباطنه أجوف ، ثم يصنع من هذه الاخلاط الثلاثة جرعة مسكرة للعامة وأشباه العامة، ليقال انه عالم واسع العلم متبحر ، وحاذق لطيف الحذق مترفق ، وبارع تام البراعة متفوق ! فهو سارق عقول باللفظ المحبر ! ولكنهما جميعا لا يسرقان الا السخيف العقل الذي لا ينظر ولا يتماسك .

فمن آخر « **شرلتة** » هذا الدعي المسكين، أنه كتب في صحيفة الاهرام ، ومسكينة أيضا صحيفة الاهرام !! ، وذلك في يوم الجمعة ٢٧ من المحرم سنة ١٣٨٥ (٢٨ مايو ١٩٦٥) ، كلمة عن زميل غفر الله له ورحمه ، الدكتور محمد مندور ، وحشا ما كتب بمثل الذي وصفت في بيان معنى «الشرلتان» الا أن الشرلتان ينبغي أن يكون في الحقيقة خفيف الدم ، ليكون كلامه الى النفوس أسرع ، وهذا « الشرلتان » ، ليس بخفيف الدم ، بل دمه ثقيل جدا ، وانما اكتسب دمه هذا الثقل ، من ثقل دم « التبشير » ، الذي افرغ فيه ما أفرغ من الخصال الموبقة ، عند « الثلوج الغزيرة المنشورة على حديقة مدسمر ، في الخلوة المشهودة بين أشجار الدردار ، عند الشلال بكامبردج » ، و « التبشير » ، قد صح البيان آنفا عن انه أثقل شيء دما ، وأسخفه عقلا ، وأغباه غباوة . فمن هنا ابتلى المسكين بهذا البلاء .

فمن الالفاظ التي يتلقطها ، ويتقممها ، ولا يعرف معانيها ، مع طول تبجحه بأنه غارق في حضارة الغرب ، وبانقطاع وسائله من وسائل العرب ولغة العرب ، وانه لولا الميلاد لكان « ولدا شرعيا «لليونان» والرومان ، والقرون الوسطى ، والحضارة الحديثة !! من هذه الالفاظ لفظ « دكتوراه الدولة » ، فجاء هذا المسكين ، بعد الدعوى والكذب وادعاء ما لم يكن بينه وبين مندور ، فقال : « وحين عرفت مندورا في باريس ، كان عضوا فيما كنا نسميه يومئذ من باب الدعابة (ما أخف دمه !) : البعثة المنسية ، وهي بعثة كان أوفدها استاذنا طه حسين عام ١٩٣٠ من خريجي كلية الآداب ، ولم تعد الى مصر الا بعد تسع سنوات عام ١٩٣٩ ، بسبب ظروف الحرب ، قبل أن تتم المهمة التي أوفدت من أجلها . وكانت مدة البعثات يومئذ أربع سنوات قابلة للمد عند الضرورة (ما ألطف « عن الضرورة » وأرقها من كلمة !) . ولم يشأ مندور أن يخطف العلم خطفا (كبعضهم ! وكل لبيب بالاشارة يفهم !) ، ويعود بعد أربع سنوات حاملا دكتوراه الجامعة ، أو حتى دكتوراه الدولة ، في الأدب العربي ، كما كان مقررا له أن يفعل » ، الى آخر التلافيق (جمع « تلفيق » ، وهو جمع ابتدعته لهذه المناسب الطريفة !) .

فهذا الشرلتان « المسكين » ، يظن أن « دكتوراه الجامعة» في فرنسا ،أعلى وأعنف وأقسى من «دكتوراه الدولة» ! ما أشد جراة هذا « الشرلتان » الكذوب المحتال بالألفاظ على عقول العامة وأشباههم ممن احتفظ بطفولة عقله ، وان كان بدنه وعمره قد أوغلا به في حدود الرجولة المكتملة ، أو التي كانت خليقة أن تكون مكتملة ! ان هذا «الشرلتان» المتبجح بذكر المناهج ، وبذكر الحضارة الأوربية ، والمدعي ما ليس عنده منه شيء ، من معرفة « أسرار الحضارة الأوربية » والتغلغل فيها ، يتوهم أن « دكتوراه الدولة » في فرنسا أهون شيء ، وأنه ممكن لكل سخيف العقل أن ينالها نيلا يسيرا ، كما نال هو من مستقر التبشير في « برنستون » تلك الورقة المخزية الفاضحة التي مكنته أن يسمى في مصر «دكتورا»! ما أعجب هذا « الشرلتان » السخيف ! ان « دكتوراه الدولة » في فرنسا ، قل أن يقتدر على نيلها الا كل من استحكمت أدواته ، وبلغ مبلغا يؤهله أن يكون في صفوة الصفوة من الممتازين . وهذه «الدكتوراه» هي التي تؤهل حاملها أن يدرج في مدرجة أساتذة الجامعات . أما « دكتوراه الجامعة » ، فلا تؤهل لشيء من هذا . واذا ظن هذا المسكين ، وهو خليق أن يظن ذلك ، ويجعله حجة لمن يحيط به ممن لا يزال يحسن به الظن غفلة وجهلا ، = اذا ظن هذا المسكين

انه ممكن ان ينال امرؤ « دكتوراه الدولة » ، فى لادب العربى من فرنسا ، بايسر مما ينال « دكتوراه الجامعة » فى اى شيء آخر ، فقد ظن مــا لا تحمد عقباه ، لانه يخرجه من عداد ذوى العقول السليمة ، وان كان قد خرج من حدودهم مئات المرات ، كما اسلفت بيانه فى مقالاتى بالبراهين القاطعة ٠

افرايت اذن انى صــادق كل الصــدق ، حين استخرج من كلام هذا المخلوق صــفة تناسبه ، فاقذفها فى وجهه بلا مبــالاة ! وليس بى ارادة اهانته ، فانه أشبه شيء بما قال الطرماح فى هجاء بنى أسد :

لو كان يخفى على الرحمــن خافيــة
من خلقه ، خفيت عنــه بنو أســد

وبالذى يقول فيه القائل الظريف :

قلت لما رايتــه فى قصــــور
مشرفات وتعمــة لاتعــاب :
رب ، مــا ابين التبــاين فيه !
منزل عامر ، وعقل خــراب

وأما الذى أريد ، فهــو الفحص عن حقيقة هــذا « الشرلتان » الذى بقى خامل الذكر، لا قيمة له عند أحد من الناس،حتى جاءت صحيفة الأهرام فانتشلته من حماة الخمول والنكارة ، والزمت النــاس قراءة اسمه ، وممارسة هذيانه ، أسبوعا بعد أسبوع ، مع ما فيه من القوادح المنكرة ، سوى هذه «الشرلتة» المفضوحة ٠

و « شرلتة » اخرى ، فى نفس المقالة ! فان هذا « الشرلتان » المسكين ، ظن نفسه كاتبا ، فقدم لى صدر مقاله كلمة محفوفة بالرموز ٠فذكر « طروادة»، و « أخيل » و « اجاكس » ، و « ميداس » ، وادعى على مندور دعوى ،هو على طول كذبه ودعواه ،الشاهد الفرد عليهــا !! فهذا المســكين الذى يدعى العلم باليونان والرومــان والقرون الوســطى والقرون المتدلية فى العصر الحديث !! ، هذا المسكين شبه مندورا بأخيل ، محاصر طروادة ، وشبه نفســـه باجاكس ، وزعم ، وما أكذبه ، انهما « خرجــا معا فى صباح الحياة الى قصر الربة اثينا » ، (وأنا استغفر الله من ذكر هذه اللفظة الأخيرة ، وخطهــا بالقلم ! فان الله قــد عافانا من عبــادة الأوثان ، وخلعنا من اعناقنا ربقة العبودية لغير الله الأحد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد) ٠

وعلى سخف ما كتب هذا « الشرلتان » من الرموز، ومع قلة احتمالى لهذا السخف اليونانى المستحدث الذى يلجا اليه بعض المغرورين فى بلادنا ، ومع انى أكره لقلمى أن ينحط من شرف عربيته الى خسائس اليونان وخطرفات اتباعهم وابنائهم الشرعيين وغير الشرعيين = فانى قد استحسنت أن شبه نفسه باجاكس ، لأنه طابق بهذا الرمز كثيرا مما ذكرته من صفاته فيما سلف من مقالاتى ٠ولكنهجاء بهارمزا، وجئت بها صريحة وعلانية ، لاسباب ستعرفها ٠ ولولا أن هذا « الشرلتان » بين « الشرلتة » ، و ولا أنه مشعوذ باسم اليونان وأدب اليــونان ممقــوت الشعوذة ، ولولا أنه قارىء فى آداب الفرنجة بنفس سخف العقل الذى يقرأ به آداب العرب ، من أبى العلاء ، الى بدر شاكر السياب ، لولا ذلك ، لترددقبل أن يرمز الى شخصه المهتز أشد الاهتزاز بأجاكس ، كان اجاكس ، كما صوره هوميروس فى شعره ، مخلوقا شديد البطش خارق القوة ، متهور الجراة ، كأنه ثور هائج متخذ للنزال فى حلبة من حلبــات مصارعة الثيران ٠ ومن كان له بعض البصر بشعر هو ميروس ، علم علما يقينا انه شجاع جرىء شديد البطش ، ولكن بلا عقل وبلا حكمة ٠ فاذا شئنا أن نفسر ما ألقى على لسان هذا الشرلتان فى تشبيهه نفسه بأجاكس ، علمنا علما يقينا أيضا انه قد أصاب التشبيه ، أو علمت انا علما يقينا أيضا انى قد أصبت حين قلت فى صدر المقالة الثالثة ، أن هذا الشرلتان ، يخرج على الناس كأنه بطل باذخ عليه أبهة الظافر الميمون الطائر ، ليراه الناس فى كلامه راكبا حصانا أشهب ، وعليه لأمة المحــارب (أى سلاحه) ، على رأسه الخوذة ، وعلى بدنه من فرق رأسه الى نصــف ساقيه ، سابغه زغف (أى درع ضافية لينة) تتلألأ، وفى يمناه قنطارية وهى الرمح الثقيل باليونانية،وفى قدميه زربول (وهو الحذاء باليــونانية أيضا) وبيسراه الدرفس الاعظم (وهو الدرابو !! أى العلم)، ثم يتبختر جيئة وذهابا بالعجب والصلف ، ولا يقنع حتى يرى نفسه قد تولى امارة اليونان ، والروم ، وما تولد عنهما منذ القرون الوسطى الى اليوم » أليس هــذا هو أجــاكس نفسه ، فى صورة بطل صليبى ! ٠

نسى هذا « **الشرلتان** » فى سماديره التى تنتابه وهو فى أسر النشوة المذهلة ، أن أجاكس اليونانى ، ليس الا ثورا باطشا بلا عقل ، ولكن شجاعة أجاكس

انقلبت عنده تهورا مجردا ، وشدة بطشه ، صارت فيه حقدا يتمدد في جوفه بأوزار ثلاثة عشر قرنا ، وقوة أجاكس ، ليس له منهـا الا هذه « الثرثرة » التي يستبي بها عقول الاطفال المركبة في ابدان كبار السن ، حيث يدمن حفظ المفردات والاسماء وبعض الصور ، فيستدخلها في أثناء كلامه للتهويش المجرد وليلتيها على اسماعهم ليبهرهم ! وقد عوقب أجاكس بعد قرون طويلة جدا عقابا شديدا جدا ، على ما كان من فجوره في التوحش وسفك الدماء ، فمســـخت صورته في سمادير هذا « الثرثـــــان » ، أجاكس القرن العشرين !! واذا كان أجاكس قد حاصر طروادة القديمة ، فان « مسخ أجاكس » (بكسر الميم وسكون الســــين) ، قد توهم أنه لا يزال يعيش في عصر « ما قبل العقل » وتوهم أنه جاء في جيوش من أمثاله ليحاصر « طروادة » أخرى في هــذا القرن • ومن السخف أن تكشف عن حقيقة « طروادة » التي يعنيها ، وتقول انه يعني « ديار الاسلام » و « تاريخ الاسلام » ، و « أدب أهل الاســـلام » واذا كانت « طروادة » الحديثة تفزع من مثل هذه المسوخ فيما يتوهم « أجاكس عوض » ، وتخشى أن يصيبها تحقيق ما قال ، حيث قال : « لابد أن تدمر ، ولا بد أن تحرق كما احترقت طروادة في القديم » ، فانها لا تكون عندئذ الا كما رمز اليها ، فلاتكون عندئذ سوى قرية خسيسة في بلاد اليونان ، لا أمة صحيحة الكيان ، بريئة من الدنس ، واذا كان من دربه في « الخلوة المشهودة تحت أشجار الدردار عند الشلال بكامبردج » قد أوحى اليه أن الذي كان بعد هزيمة « عرابي » ، وتآمر العالم المسيحي الاوربي عليه يومئذ ، كائن مرة أخرى في عهدنا هذا ، وأن هــذا « الاجاكس » المسخ ، سوف يقف في مؤتمر مبشرين تحت سقف بيت أحد من رجالنا ، كما وقف القسيس زويمر تحت سقف بيت « عـرابي » ليقول هو يومئـذ ما قال القسيس المبشر المختل العقل : « ربما كانت العزة الالهية قد دعتنا الى اختيار مصر مركز عمل لنا ، لنسرع بانشاء هذا المعهد المسيحي ، لتنصير الممالك الاسلامية » ، اذا كان قد أوحى اليه مثل هذا فصدقه ، ويقيني أنه مصدق بما أوحى اليه ، فانه يكون قد فقد كل ذرة من العقل ، يكون بها معدودا في أبنـاء آدم عليه السلام •

أيريد هذا المســـكين ان أردد على الناس بعض ما يقوله للشـبـاب ، وقد اخذ صـــورة الواعظ البروتستانتي في وقفته ، مباعدا بين رجليه ، عاقدا يديه وراء ظهره ، وهو يظن أنه يخاطب « الاجيـال الصاعدة » : ان اليمين قد تحرك ، ولابد لليسار من وقفة يدفع بها حركة اليمين ، ولو أدى الامر الى حمل « السلاح » في الطرقات !! و « السلاح » بالطبع ، هو « الشوم » ، و « العصى » ، و « أغصان الأشجار » ، و « سيف أبي حية النميري » ، الذي كان من خشب ، و « المعلم يعقوب » ، أجاكس الغزوة الفرنسية في عهد نابليون !! ما أسخف هذا الانسان الذي رفع عنه القلم ، أي الذي لا يحاسب على ما يقول ! •

أيحب هـــذا الخلق الثرثاني الذي يختفي وراء الرموز ، ان أفسر للناس من الملك « ميداس » ، الذي أرسل من خزائنه مايتراءى له من سمادير المخمورين ، فيرى « جيوشا من الهوام ، وخسيس الحشرات ، منها الخنافس ، والعقـــارب ، والحيات الصغيرة بحجم الكف ، والجعارين الذهبية » ؟ ومن الملك « ميداس » الذي زعم أن مندورا ناداه وهو في فراش الموت وقال له : « يا أخي ، البس دروعــــك ، وتأهب لنخرج معا في غزوة جديدة عظيمة ، ولنطلب في هذه المرة الملك ميداس نفسه ، ذا الجعارين الذهبية الكثيرة » ؟ وهو بلا شك لا يعنيني ، كما فسر ذلك بعض من لا يعرف الأساطير اليونانية ، لأني عنده من الأسراب التي أرسلتها طروادة الجديدة : « بعد أن نضب منها الرجال » !! أما « ميداس » ، وسأبقي الرمز رمزا كما كتبه ، **فهو الذي يغضي الطرف عن أمثاله ، ويدعهم مرزوقين من قوت الأمة ، ويصبر عليهم صبرا جميلا طويلا ، وان كنت أنا أرى أنه قد أساء في هذا الصبر ، لأن ضررهم يتعداهم الى جماهير الناس • وكان خيرا مذكورا أن يحشد جموعهم ويودعهم في مثل ملاجئ الزمنى وذوي العاهات !! ولتبق أرزاقهم كما هي موفورة مكفولة ، فان الرزق حق للعباد ، أما اتلاف العقول والنفوس ، فمن تبعة المسئول عن الرعية أن يجنبها شرور ذلك وغوائله •**

ومع ذلك ، فان « أجاكس عوض » ، قد فسر ما يعني بطروادة : « مدينة الموت ، ذات الأبراج السوداء ، والأسوار العالية » فقال : « هذه المدينة السوداء ذات الأبراج الكئيبة ، والأسوار العالية ، هي الرجعية يا أصحابي » (ما أثقله كاتبا وناطقا !) ثم أعاد بيان ما هي « الرجعية » فقال : « هي رجعية الفـــكر ، ورجعية السياسة ، ورجعية المـــال ، ورجعية النـــظم الاجتمـــاعية » !! هكذا قال ! أو يظن هذا الخفيف الظل أن لو كان الأمر كذلك ،

وانه كان صادقا فى تفسيره المبهم للرجعية ، كان عندئذ محتاجا لكل هذه الرموز السخيفة التى جلب بها لنا الفيشان فى صدر كلامه ؟ ان « الرمز » لايؤتى به لنثل هذه الكلمات القلائل ، السخيفة المعانى ، وانما يؤتى به ليحيط بصــــور متعددة متداخلة ، يكون « الرمز » كالمفجر لها ، ليدع النفوس تستوعب أكبر قدر ممكن من الانفعال ، يحدث لها أكبر قدر ممكن من المعانى ٠ واذا كان هذا « المثقف » بثقافة «الخلوة المشــهودة تحت أشــجار الدردار عنــد الشــلال بكامبردج » ، لا يعلم هذا ، فليت شعرى ماذا يعلم عن « الرمز » ؟ ٠

لا حل لهذه المشكلة « الأجاكسية » الجديدة ، الا بالرجوع الى معنى « الشرلتـان » ، كمــا بينته ، مخلوطا هــذا المعنى بعصـــارة « التبشـــير » ، و «الاستعمار» ، كما أسلفت البيان عنهما ٠ وحسبك أن تعلم أن هذا الدعى المتكذب على الموتى ، المحتال ، لم يكن فكر قط حين لقى مندور ، كما زعم ، بفرنسا (سنة ١٩٣٨ ، ١٩٣٩) ، الا فى التعبد باليونان وغير اليونان ، كما ذكر ذلك فى مقاله ، ولم يخطر بباله قط أن بلادنا يومئذ كانت تمر بأقسى المحن التى تمر ببلاد ! ولكن من يستطيع ان يزعم أن هذا الانســـان قادر على أن يشــعر بشىء ، اذا كان هو باعترافه فى بلوتولند وقصائد أخرى ، ظل ما بين العشرين ، الى الثانية والثلاثين « لم يقرأ حرفا واحدا بالعربية ، الا عناوين الأخبار فى الصحف السيارة ، وبعض المقالات الشاردة ، ألزمته الضرورة السياسية بقراءتها » ، ومعنى ذلك أنه لم يكن يعرف شيئا عن بلاده وما يجرى فيها من سنة ١٩٣٥ الى سنة ١٩٤٧ ، حين وضع الحبل فى عنقه شيخه البائس المسكين سلامة موسى ، وجره الى المجلة اليهودية التى كانت تصدر فى مصر باسم « **الكاتب المصرى** » ، كما بينت ذلك فى المقالة السادســـة ٠ (فائدة : ولد هــذا المسمى لويس عوض ، أجاكس ، فى قرية شارونة ، بمديرية المنيا ، فى ٥ يناير سنة ١٩١٥ ٠ وقضى سنوات طفولته فى الخرطوم ، حيث كان أبوه موظفا بحكومة السودان ٠ فاحرص على هذه النكتة اللطيفة ، فانها مفيدة اذا أنت أحسنت استعمالها !!) ٠

فاذا كان ذلك ، كما حدث هو نفسه ، صحيحا ، وهو صحيح بلا ريب ، فحدثنى ما الذى كان منه بعد عودته من تحت أشجار الدردار عند الشلال بكامبردج فى سنة ١٩٤٠ ، الى سنة ١٩٤٧ ، وأى شىء كان يرجى من مثقف (!! هكذا والله) ، ظل لا يقرأ حرفا واحدا بلغة بلاده سبع سنوات هى أيضا من أقسى الســـنوات فى تاريخنا ٠ واذا كان فتى فى العشرين من عمره (سنة ١٩٣٥) قد انقطع عن متابعة الأحداث الكبرى فى بلاده الى سنة ١٩٤٧ ، فبأى شىء يستحل هذا الفتى فى سنة ١٩٦٥ ، أن يجىء يتكذب ، **(بعدما وقف يتنبأ على تلال اورشليم ، وهو يكتب عن أبى العلاء ، ودراسته على الرهبان !)** فيزعم أنه خرج هو ومندور « فى صباح الحياة الى قصر الربة أثينا ، صانعة الدروع ، لتصــنع لنا دروع الفكر ، وتملأ جعابنا بسهام الحرية ٠ وفى صباح الحياة عدنا معا ، لنحاصر طروادة ، مدينة الموت ، ذات الابراج السوداء والابراج العالية » ، ويزعم أنه خاض ألف معركة ومعركة ، وأنه نازل الابطال ، وصارع الاهوال ، فلم يلن له عزم ، ولم تنكسر له ارادة ، وحتى فى الايام الخاسرة ، خــرج بشريف الندوب !! أو كما كذب (أعنى : أو كما قال !!) ٠

أية معارك خاضها «**أجاكس عوض**» هو ومندور ، منذ سنة ١٩٤٠ حين عاد ، الى سنة ١٩٤٧ ؟ وأى شىء قرأ لمندور منذ سنة ١٩٤٠ ، الى سنة ١٩٤٧ ، اذا كان قد شــــهد على نفســـه أنه لم يقرأ فى تلك السنوات « حرفا واحدا بالعربية » ؟ أم ترى كان مندور يكتب باليونانية ونحن لا ندرى ! فاذا صح أن مندورا كان يكتب فى تلك السنوات باليونانية أو الرومية أو اللاتينية ، فقد صدق !! وعسى ولعل ! ولكن هذا شىء لم نحط به علما ، فهو عندنا كاذب حتى يأتى بالدليل الذى يصدقه ! والكذب ، كمــا يقول العامة ، ليس له أرجل ! فهذا الكذب الكسيح الذى يزحف فى أعمدة صـــحيفة الاهرام ، ويؤجر «**أجاكس عوض**» على كتابته ، ويتــولى حياطته من وكل اليه أمر الاشراف على هذه الصحيفة ، شىء غث جدا ، وبارد جدا ، لو تلاه تال على مريض قد أعد لاجراء جراحة ، لأغناه عن « البنج » ولقـــام هذا «التثليج» مقام «البنج» خير قيام ! واذن ، فتكاذيب هذا « الشرلتان » المتقمص فى تجاليد « أجاكس» نافعة نفعا ما ، وعسى أن يتدارسها بعض الاطباء ، فان صح العمل بها ، كان فتحا مبينا فى عالم الطب ، ولكان مصداقا لزعم من زعم أن بعض الالفاظ لها خواص ،

كخواص المادة . ولكني احتفظ لنفسي بفضل السبق الى افتراض هذا الفرض ، فاذا صح أن كلامه مخدر شديد المفعـــول ، جيد التأثير ، نافع للجراحات ، فارجو أن يجعل لى **«ميداس»** نصيبا من الذهب الذى يدره هذا الاكتشاف الجديد فى عالم الطب !! وانا مستعد كل الاستعداد ، لان أقدم بعض بدنى لطبيب جراح ، لينفذ فيه مبضعه ، وانا اسمع هذا البرد المتساقط على نفسى من كلمات « **اجاكس عوض** » ، وأرجو أن لا أقول : «حس» ، ولا «بس» ، حتى تتم الجراحة بالنجاح المرموق ان شاء الله !!

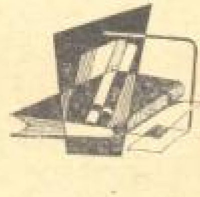
ما الذى يحمل المرء على الكذب والتنفج والادعاء ؟ أهو فطرة يفطر عليها الكذاب ؟ أم هى نقيصة يجدها المرء فيريد أن يسترها بالالفاظ التى تحتـــال على القارىء او السامع ؟ أم هى حكة فى اللسان كالجرب، لا يشفى فيها الا «هرش» اللسان بكلمات يدهورها عليه ؟ أم هى لاهذا ، ولا ذاك ، ولا تلك ، بل هى سورة كسورة الخمر ، تاخذ شاربها حتى ينتشى ، فاذا انتشى عاود ، فاذا عاود ضرى عليها ، فاذا ضرى عليها صار مدمنا لا يفيق من نشوة الكذب، والتنفج، والادعاء ، حتى تتبين العربدة فى الكلمات فى حالتى الصحو والسكر، بلا فرق بين الخمار والافاقة ؟ واى ذلك كان، فالكذب خليقة مرذولة، وخصلة مستهجنة، وخبيثـــة من الخبـــائث تحتـــاج الى « اجاكس » غير ممسوخ حتى يدمرها ويحرقها كما احترقت طروادة فى القديم !!

واراني أخذتنى العـــدوى ، فلجأت الى الرموز ، مع أني ارى اللجوء الى « الرمز » ، ضربا من الجبن اللغوى !! فاللغة اذا اتسمت بســـمة الجبن ، كثر فيها «الرمز» ، وقل فيها الاقدام على التعبير الصحيح الواضـــح المفصح . ولا تقل ان « الكناية » شبيهة بالرمز ، فهذا باطل من قبـــل الدراسة الصحيحة لطبيعة «الرمز» وطبيعة « الكناية » و « المجاز » . وانا أســـتنكف من « الرمز » فى العربيـــة ، لان للعربية شجاعة صادقة فى تعبيرها ، وفى اشتقاقها ، وفى تكوين احرفها ، ليست للغة أخرى . واذا كانت اللغـــة هى خـــزانة الفـــكر الانســـانى ، فان خزائن العربية قد ادخرت من نفيس البيان الصحيح عن الفكر الانسانى ، وعن النفوس الانسانية ، ما يعجز سائر اللغات ، لأنها صفيت منذ الجاهلية الأولى المعرقة فى القـــــــدم ، من نفوس مختــــــارة بريئة من الخسائس المزرية ، ومن العلل الغالبة ، حتى اذا جاء اسماعيل نبى الله ، بن ابراهيم خليل الرحمن ، أخذها وزادها نصاعة وبراعة وكرما ، واسلمها الى ابنائه من العرب ، وهم على الحنيفية البيضاء السمحة دين أبيهم ابراهيم، فظلت تتحدر على السنتهم مختارة مصفاة مبرأة ، حتى اظل زمان نبى لاينطق عن الهوى، فانزل الله بها كتابه بلسان عربى مبين ، بلا رمز مبنى على الخرافات والأوهام ، ولا ادعاء لما لم يكن ، ولا نســـبة كذب الى الله ، تعـــالى الله عن ذلك علوا كبيرا . فمن اجل ذلك كرهت الرموز، ورايتها قدحا فى العربية ، وتشويها يلحقها ، كما ابنت عن ذلك بعض البيان فى المقالة التاسعة ، بحمد الله وشكره ! ليس « الرمز » فى الحقيقة الا ضربا من الجبن كمـــا قلت ، ومن شاء أن يرى ذلك واضحا مكشوفا ، رآه فى « رموز » « **اجاكس عوض** » التى افتتح بهـــا مقاله ، فانه لو كان كما زعم « اجاكسا » حقيقـــا باسمه ، لصرح ولم يدر فى « رموزه الفئة » مع جهله بحقيقة هذه « الرموز » ، كالذى أوضحته من سقم تصوره لصورة « أجاكس » ، كما جاءت فى أساطير يونانه القدماء !

فالحمد لله الذى برأنا من « الرموز » كما برأنا من الشرك به ، وباعد بيننا وبين «اساطير اليونان» كما باعد بيننا وبين اتخاذ الانداد، ونزهنا عن الكذب كما نزهنا عن الخضوع لغيره سبحانه ، وجنبنا الجبن، كما جنبنا التعبد لطاغوت من طواغيت الانس والجن ، فالحمد لله حمدا لا يبلغ الكلم مداه ، ولا يدرك اللفظ غاياته .

واما بعد .. فقد كنت أوشك ، حين حملت القلم، أن اقرن « **اجاكس عوض** » مع أشباه له من ذوى الضغائن الشديدة ، ممن اتخذ الليل ستارا لينفث سمومه فى الناس عن طريق الصحافة ، لا فى صحيفة الاهرام وحدها ، بل فى كثير من الصحف ، ثم أدل على أن هذا كله : تابع لحركة « التبشير » التى اشتد نشاطها واستفحل فى هذه الأيام، وأن هذا «النشاط» مقرون بأمور سياسية شديدة الخطر ، **تتهدد العالم العربى الاسلامى** ، ولكنها تاتى متسترة تحت ضروب من الزيف ، تسمى أحيانا مقاومة «الرجعية» وتسمى تارة « اصلاحا » ، وتسمى تارة أخرى « تقدما » ، ويأخذ الكذب مدرجه الى غاياته . وساكون ان شاء الله صريحا ، لا أرمز ، وأطرح « الرموز » لمن يتقممها من « آكلى الرموز » ، مثل البطل الصنديد « **اجاكس عوض** » فهم أهلها وهم أولى بها منا ، بلا من عليهم فى الذى نطرحه لهم من « رموز » نعافها ؟

« **محمود محمد شاكر** »



تأثر اللغة بشئون الحياة ومظاهر الاجتماع

للدكتور: على عبد الواحد وافى

تتأثر اللغة أيما تأثر بحضارة الأمة ، ونظمها السياسية وشئونها الاجتماعية العامة ، وأوضاعها الاقتصادية ، وعقائدها وتقاليدها وعرفها الخلقى ، واتجاهاتها العقلية ، ودرجة ثقافتها ، وما يكتنفها من بيئة جغرافية ، ويربط بينها وبين غيرها من علاقات .

فكلما اتسعت حضارة الأمة وكثرت حاجاتها ومرافق حياتها وتوثقت صلاتها بغيرها من الأمم ، نهضت لغتها ، وسمت أساليبها وتعددت فيها فنون القول ، ودقت معانى مفرداتها القديمة ، ودخلت فيها مفردات أخرى جديدة عن طريق الوضع والاشتقاق والاقتباس للتعبير عما استحدث فيها من مسميات وأفكار . واللغة العربية أصدق شاهد على مانقول . فقد كان لانتقال العرب من همجية الجاهلية الى حضارة الاسلام ، ومن النطاق العربى الضيق الذى امتازت به مدنيتهم فى عصر بنى أمية الى الأفق العالمى الواسع الذى تحولوا اليه فى عصر بنى العباس ، كان لهذين الانتقالين أجل أثر فى نهضة لغتهم ، ورقى أساليبها ، واتساعها لجميع فروع الأدب وشتى مسائل العلوم وقدرتها على التعبير عن مختلف فنون القول . ومن بين هذه العوامل الحضارية برزت ثلاثة عوامل كان لها أكبر قسط من الفضل فى نهضة اللغة العربية ، وهى **القرآن والحديث والفتوحات** . فقد ظهرت آثار هذه العوامل الثلاثة بوجه خاص فى مختلف عناصر اللغة : فى أغراضها ومعانيها وأخيلتها وأساليبها وألفاظها . أما الأغراض فقد اتسعت أيما اتساع بفضل القرآن والحديث وانتشار الاسلام فى أمم ذات ثقافات عريقة ، وما أفاده العرب ولغتهم من الاحتكاك بهذه الثقافات . فقد فتح القرآن الكريم وأحاديث الرسول للغة العربية أبوابا كثيرة من فنون القول ، فعولجت فيها أمور لم تكن العربية لتعنى بعلاجها من قبل ، وذلك كمسائل القانون والتشريع والقصص والتاريخ والعقائد الدينية والبحث فيما وراء الطبيعة والاصلاح الاجتماعى والنظم السياسية وشئون الأسرة وأصول القضاء والمعاملات ودراسة مظاهر الفلك والطبيعة والحيوان والنبات وما الى ذلك . وأضيفت الى هذه الأغراض فيما بعد أغراض أخرى كثيرة يرجع الفضل فيها الى انتشار الاسلام ، واتساع الدولة العربية ، وارتقاء مظاهر المدنية ، وما ورثه العرب عن الامم التى دانت لسلطانهم من حضارة وعلوم وفنون ، وما اقتبسوه من لغاتهم وترجموه من مؤلفاتهم فى مختلف الشئون . فتناولت اللغة العربية ، بجانب ما تناولته من قبل ، شئون التأليف الدقيق فى الرياضة والفلك والطبيعة والكيمياء والمنطق والفلسفة والفقه وفنون اللغة والنقد الأدبى وتاريخ الأدب والرسائل السياسية ، وضبط أمور الدولة ، وتنظيم شئون الدواوين ، والرد على المذاهب الزائفة ومقاومة الزندقة والالحاد ، وصنع القصة والرواية . وهلم جرا — وقد نجم عن اتساعها وارتقائها فى ناحية الاغراض اتساع وارتقاء فى ناحية المعانى والأخيلة والأساليب . فقد قويت على تجلية المعانى الدقيقة التى جلبتها العلوم والفنون السابق ذكرها ، واستخدمت فيها الحجج العقلية والبراهين الفلسفية ، ودخلت فيها عناصر جديدة للخيال والتشبيه ، وتهذبت أساليبها ومناهجها فى التعبير — وأما المفردات ودلالتها فكان الأثر فيها واضحا كل الوضوح فقد تجرد كثير من الألفاظ العربية من معانيها العامة القديمة ، وأصبحت تدل على معان خاصة تتصل بالعبادات والشعائر أو بشئون السياسة والادارة والحرب ، أو بمصطلحات العلوم والفنون .

واللغة مرآة ينعكس فيهـــا كذلك ما يسير عليه الناطقون بها في شئونهم الاجتماعية العامة · فعقائد الامة وتقاليدها ، وما تخضع له من مبادئ في نواحي السياسة والتشريع والقضـــــاء والاخلاق والتربية وحياة الاسرة ونظام الطبقات ·· كل ذلك وما اليه يصبغ اللغة بصبغة خاصة في جميع مظاهرها : في المفردات والدلالة والقواعد والاساليب والبنيات مثـلا درجة القرابة التي تربط الفـــرد باسرة ابيه وأسرة امه · فان الأمم التي تكاد نظمهـــا الاجتماعية تنزل هاتين الاسرتين منزلة واحدة في درجة قرابتهما للفرد تطلق لغتها كلمة واحدة على كل من العم والخـال والعمة والخالة ، وابن العم أو العمة ، وابن الخال او الخالة ، وابنة العم او العمة ، وابنة الخال او الخالة على حين أن الامم التي تفرق نظمهـــا الاجتماعية بين هاتين الأسرتين في درجة قرابتهما للفرد تختلف في لغتها الكلمات الدالة على أفراد أسرة الأب عن الكلمات الدالة على أفراد أسرة الام : العم · الخال العمة الخالة ابن العم · ابن العمة · ابن الخال ابن الخالة · بنت العم · بنت العمة · بنت الخال · بنت الخالة ··· واليك مثلا آخر مبلغ اتجاه الامة الى مبادئ المساواة أو انحرافها نحو نظام الطبقات · فان ما تسير عليه نظمها الاجتماعية في هذا الصـدد يؤثر في مختلف نواحي لغتها حتى في ناحية القواعد · فمخاطبة الفرد بضمير الجمع تعظيما له (أرجو ان تتفضلوا ···) واجراء الخطاب في صيغة الاخبار عن الغائب (يتفضل سـيدي ···) ، كل ذلك وما اليه من أســاليب التبجيل لا يبدو في اللغة الا حيث ينحرف الناس عن مبادئ المساواة وتكثر الفروق بين الطبقات · وأصدق شاهد على ذلك اللغة العربية نفسها · فقـد كان العرب في الجاهلية من أكثر الشعوب ميلا الى المساواة بين الأفراد ، ولذلك ساد في خطابهم ضمير المفرد ، ولم تبد في لغتهم مظاهر المبـالغة في التبجيل · وقد سـار القرآن على هذه الطريقة حتى في توجيه الخطاب الى الله عز وجل : « اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم ··· » : — ولكنهم لم يلبثوا بعد اتساع ملكهم ، واحتكاكهــم بالامم الأخرى ، وانغماسهم في الترف ، ومحاكاتهم لأبهة الفـــرس وأساليبهم ، واتجاه خاصتهم وأغنيائهم الى الترفع عن الدهماء وطبقات المستضعفين ، لم يلبثوا بعد هذا أن انحرفوا عن مبادئهم الأولى ، فانحرفت معهم أساليب لغتهم ، وساد فيهاخطابالمفرد بضمير الجمع ، واجراء الخطاب في صورة الاخبار عن الغائب ، ونفذت اليها ألفاظ « الحضرة » و « الجناب » ·· وما الى ذلك · وفي أثناء تبعيــة بلادنا لتركيا وسـيرها على النظام الملكي وخضوعها لنظام الطبقـات ناءت لغتنا بألقاب الجـلالة والعظمة والسـمو والفخامة والرفعة والدولة والمعالي والسعادةوالعزة والحضرة،ولم تنفض أوزارها هذه الا بعد أن تخلصنا من نظم الملكية والاقطـــاع والطبقات ·

وقد ينجم عن انقسام المجتمع الى طبقات وانعزال هذه الطبقات بعضـها عن بعض أن تتشعب لغـــة المحادثة في البلد الواحد أو المنطقة الواحدة الى عدة لهجات: فيكون ثمة مثلا لهجة للطبقة الارستوقراطية، وأخرى للجنود ، وثالثة للبحارة، ورابعة للرياضيين، وخامسة للتجارين ، وسادسة للبرادين ·· وهلم جرا ·· وذلك أن ما يوجد بين طبقات الناس وفئاتهم من فروق في الثقافة والتربية، ومناحي التفكير والوجدان، ومسـتوى المعيشـــة ، وحيـــاة الأسرة ، والبيئة الاجتماعية ، والتقاليد والعـادات ، وما تزاوله كل طبقـة من أعمال وتضـطلع به من وظائف ، والآثار العميقة التي تتركها كل وظيفة ومهنة في عقليـــة المشتغلين بها ، وحاجة أفراد كل طبقة الى دقة التعبير وسرعته وانشاء مصطلحات خاصة بصدد الأمور التي يكثر ورودها في حياتهم وتستأثر بقسط كبير من انتباههم ، وما يلجئون اليه من استخدام مفردات في غير ما وضعت له أو قصرها على بعض مدلولاتها للتعبير عن أمور تتصل بصناعاتهم وأعمالهم ·· كل ذلك من شأنه ، اذا انعزلت هذه الطبقات بعضها عن بعض ، أن يوجه اللهجة في كل طبقة وجهة تختلف عن جهتها عند غيرها ، فلا تلبث أن تتشعب اللهجة العامة الى لهجات تختلف كل منهــا عن أخواتها في المفردات وأســاليب التعبــير وتكوين الجمل ودلالة الألفاظ ·· وما الى ذلك · وقد تذهب بعض هـــذه اللهجات بعيدا في هذا الطرق ، فيشتد انحرافها عن الأصل الذى انشعبت منه ، وتتسع مسافة الخلف بينها وبين أخواتها ، حتى تكاد تصبح لغة متميزة غير مفهومة الا لأهلها ، كما هو شأن اللهجات الفرنسية المسـتخدمة بين طبقات اللصـوص والمجرمين وبعض فئات العمال · ويزداد في العادة انحراف اللهجـــة الاجتماعية عن أخواتها كلما كثرت الفوارق بين الطبقة الناطقة بها وبقية الطبقات ، أو كانت حياة أهلهـا

قائمة على مبدأ العزلة عن المجتمع أو على أساس الخروج على نظمه وقوانينه ·

ولذلك كانت فى فرنسا لهجات الطبقات الدنيا من العمال واللهجات السرية لجماعات المتصوفين والرهبان ولهجات المجرمين واللصوص ومن اليهم من أكثر اللهجات انحرافا عن الأصل الذى انشعبت منه ، وبعدا عن المستوى العام لبقية اللهجات الاجتماعية الفرنسية ، وكذلك الشأن فى انجلترا ، حتى لقد ألف فى لهجات المجرمين من الانجليز معجمات خاصة، فمن ذلك المعجم الذى أخرجه اريك بارتروج ، استاذ اللغة الانجليزية · ويقع معجمه هـذا فى ثمانمائة صفحة احتوت على جميع المصطلحات التى يستعملها اللصوص وقطاع الطريق والمجرمون من الانجليز من القرن السادس عشر حتى العصر الحاضر · وقد قضى بارتروج فى تاليف معجمه هـذا خمس سـنين ، واستعان فى اخراجه بالبحث فى ملفات القضـايا الجنائية من عام ١٧٢٩ حتى أواخر النصف الأول من القرن الحالى كما استعان بكثيرين من قساوسة السجون ترددوا على أمكنة اجتماعات المجرمين ·

وقد يحدث فى بعض الشعوب التى يقل فيهـا اختلاط الرجال بالنساء ، أو يكون فيها كلا الجنسين بمعزل عن الجنس الآخر ، تحت تأثير نظم دينية أو تقاليد اجتماعية ، أن تختلف لهجة الرجال عن لهجة النساء اختلافا يسيرا أو كبيرا ، وتكثر مظاهر هـذا الاختلاف اللغوى كلما استحكمت حلقات الانفصـال بين الجنسين ، حتى انه لينشأ أحيانا من جراء ذلك لكل منهمـا لهجة تختلف اختـلافا بينـا عن لهجة الآخر ، أو تشتمل لهجة كل منهما على مفردات وجمل كثيرة لا تستخدم فى اللهجة الأخرى · وقد لوحظ ذلك فى بعض الشعوب البدائية على الأخص ·

ويخف هذا الاختلاف اللغوى كلما خفت قيـود الاختلاط بين الجنسين ، فتقتصر مظاهره على بعض فروق يسيرة فى الأصوات والمفردات والجمل والأساليب كما هو مشاهد فى كثير من المناطق الريفية بمصر ·

وتتشكل اللغـة كذلك فى الصورة التى تلائم اتجاهات الأمة العامة وما يستأثر بتفكيرها ونشاطها فى الحياة · فجنوح الانجليز مثلا الى الناحية المادية فى نشاطهم وتفكيرهم قد صبغ لغتهم بصبغة مادية فى مفرداتها وتراكيبها ، حتى انه ليقال فيها : « دفع زيارة أو تحية أو شكرا أو انتباها » ، و « أنفق وقته فى كيت وكيت » ، و « تربح الساعة أو تخسر » ، بدلا من « أدى زيارة » ، و « قدم تحية أو شكرا » ، و « أبدى انتباها » ، و « قضى وقته فى عمل ما » ، و « الساعة تقدم أو تؤخر » ·

وما يكون عليه الأفراد من حشـمة وأدب فى شئونهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض ينبعث كذلك صـداه فى لغتهم ألفاظها وتراكيبها ، فاللغة اللاتينية لا تستحيى أن تعبر عن العورات والأمور المستهجنة والأعمال الواجب سترها بعبارات مكشوفة، ولا أن تسميها بأسمائها الصريحة · على حين أن اللغة العربية بعد الاسلام تتلمس أحسن الحيل وأدناها الى الحشمة والأدب فى التعبير عن هذه الشـئون ، فتلجأ الى المجاز فى اللفظ ، وتستبدل الكناية بصريح القول : القبل ، الدبر ، قارب النساء ، لمس امرأته ، قضى حاجته ·· الخ · ولقد كان لها فى هذا الصدد أسوة حسنة فى ألفاظ القرآن الكريم وعبارته : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم » ، « واهجروهن فى المضاجع » ، « لامستم النساء » ، « وقد أفضى بعضكم الى بعض » ، « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » ، « فاعتزلوا النسـاء فى المحيض » ، « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا » ، وما الى ذلك من كريم العبارات ونبيل الألفاظ · وما يبدو فى اللغة العربية فى هذا الصدد يبدو شىء منه فى بعض اللغات الأوربية الحديثة وخاصة الشمالية منها · وأكثرها تحرجا فى هذه الناحيـة اللغـة الانجليزية ، حتى انها لا تعبر عن « البطن » ولا عن « السراويل » بألفاظها الصريحة وانما تلجأ فى التعبير عنهما الى المجاز ·

وخصائص الأمة العقلية ، ومميزاتها فى الادراك والوجدان والنزوع ، ومدى ثقافتها ومستوى تفكيرها ومنهجه ، وتفسيرها لظواهر الكون ، وفهمها لما وراء الطبيعة ·· كل ذلك وما اليه ينبعث صداه فى لغتها، ومن ثم نرى أن الأمم البدائية الضعيفة التفكير ، المنحطة المدارك ، تنعكس عقليتها فى أداة تعبيرها · فتغزر فى لغتها الكلمات الدالة على المحسات والأمور الجزئية ، وتخلو دلالة المفردات من الدقة والضبط فيكثر فيها الخلط واللبس والابهام وتعرو القواعد

أو تكاد تعرو من ظواهر التصريف والاشتقاق وربط عناصر الجملة والعبارة بعضها ببعض ، ويضيق متن اللغة فلا يتسع لأكثر من ضروريات الحياة • ومن هذا القبيل الشعوب الصينية : فلغاتها أولية ساذجة فى نواحى الألفاظ والدلالة والقواعد ، تكفى للتعبير عن ضروريات الحياة وشئون الصناعة اليدوية والأدب السهل والتأمل الضحل ، ولكنها لا تتسع لعلم ولا لفلسفة ولا لدين بالمعنى الدقيق لهذه الكلمات، حتى انه لا يوجد فيها اسم للاله ، ويعبر فيها عن مسائل ماوراء الطبيعة بعبارات ملتوية مبهمة مضطربة الدلالة فى أذهان أهلها أنفسهم • ولذلك تستخدم لديهم الآن اللغة الانجليزية واللغة الروسية فى كثير من شئون الآداب والفلسفة والصحافة والعلوم • وفى كثير من الأمم البدائية ينعكس فى اللغة من مظاهر الاضطراب والابهام ما تمتاز به عقليات الناطقين بها من سذاجة وقصور ، حتى انها لا تكاد وحدها تبين عن معنى واضح دقيق ، وحتى ان اهلها أنفسهم ليضطرون فى أثناء حديثهم الى الاستعانة بالحركات اليدوية والجسمية لتكملة ما ينقص تعبيرهم وما يعوزه من دلالة • فقد روى عن قبائل البوشيمان (عشائر بدائية تسكن جنوب أفريقية) انهم اذا أرادوا المحادثة ليلا يضطرون الى اشعال النار ليتمكنوا من رؤية الاشارات اليدوية والجسمية التى تصحب كلامهم فتكمل ناقصه وتوضح مدلولاته •

وما يحدث بين حضارة الأمة ولغتها من توافق والانسجام يحدث مثله بين لغتها ومظاهر بيئتها الجغرافية • فجميع خصائص الاقليم الطبيعية تنطبع فى لغة سكانه ، وتتجه بها فى سبيل التطور وجهة خاصة • ومن أجل ذلك نشأت فروق كبيرة فى مختلف مظاهر اللغة بين سكان المناطق الحارة والمعتدلة والباردة ، وبين سكان المناطق الجبلية وسكان الصحراء وسكان الأودية ، ونشأت فروق غير يسيرة بين أفراد الفصيلة اللغوية الواحدة ، بل بين لهجات اللغة الواحدة • ومن اجل ذلك ايضا غزرت فى كل لغة المفردات التى تدور حول مظاهر بيئتها الجغرافية، ودقت دلالاتها ، وانبثت فى شتى فنون القول • ومن اجل ذلك ايضا كان قسط كبير من مادة الخيال والتشبيه فى كل لغة مستمدا من مظاهر البيئة وما اختصت به طبيعة البلاد • ومن أجل ذلك أيضا تمثل فى أسلوب اللغة وفنونها الأدبية ما تختص به بيئتها الطبيعية من تلبد أو صفاء ، وقبح أو جمال ، وصخب أو هدوء ، وتنوع أو اطراد ، وتقلب أو ثبات ، وما ينبعث عنها من رخاوة أو قوة ، وخمول أو نشاط ، وخشونة أو نعيم • ومن ثم يستطيع الباحث معرفة البيئة الأولى التى نشأت فيها لغة ما على ضوء مفردات هذه اللغة ، وغزارتها فى بعض النواحى، وجدبها فى نواح أخرى وما تجنح اليه أساليبها ومادتها فى الخيال والتشبيه •• وما الى ذلك •

« د • على عبد الواحد وافى »



الأدب والأدباء في القرآن

بقلم : نديم الجسر
عضو مجمع البحوث الإسلامية

سألني ، في بلدي كثير من الشباب ، عن الذم الذي وجه القرآن الى الشعراء ٠ ماسره ؟ وكيف التوفيق بين هذا الذم وبين عناية القرآن بفن القول البليغ الى حد الاعجاز ؟ ٠

لقد أجبت على هذا في مؤتمر الادباء العرب بالعراق ولكن الجواب لم ينتشر ، وعاد السؤال يتكرر ، حتى هنا في القاهرة ، فاردت ان أتخذ من مجلة الرسالة الادبية الكبرى التي تصل الى كل الاقطار العربية بريدا للسائلين وغير السائلين ٠ ان صناعة الادب ومهمة الأديب تتصلان ، في الواقع ، بكل مجالات التفكير الديني والاخلاقي والاجتماعي والعلمي والفلسفي ٠ ذلك لأن مجالات التفكير تتجاور في الذهن ، وتتصل ، وتتعاون ، ويتمم بعضها بعضا : فالنتاج العلمي يغذي التفكير الديني والفلسفي ، والفلسفة بدورها ، تغذي التفكير الديني ، وتتغذى منه ، والتفكير في المشاكل الاجتماعية والاخلاقية يستمد هديه من الدين والعلم والفلسفة والتاريخ ولكن علاقة الأدب بكل هذه المجالات الفكرية اعم واشمل واوثق واوجب ٠

لقد قالوا ، في تعريف الأدب ، الشيء الكثير ٠ ولكني اختار ان أقول في تعريفه (انه فن التلاعب بالعواطف) ٠

فعلم المنطق مجاله العقل ، والعلوم الرياضية والطبيعية ، والفلسفية مجالها ، كلها ، العقل ٠ أما فن الادب فمجاله العواطف والضمائر ٠

فلو كان في الوجود انسان واحد وحيد لما كان أدب ٠ يمكن أن يكون على الأرض ، علم زراعة ، وصناعة ، وهندسة ، وعلم فلك ، وطب ، وكيمياء ، لانها كلها ، تساعد على العيش ، فيحتاج الانسان الوحيد الى أن يمارسها ، ولو بصورة بدائية ٠ وكان يمكن ان يكون منطق وفلسفة : لأن العقل فطرة والمنطق نظامه ، والبحث عن المجهول غريزة ، ومن هنا جاءت الفلسفة ٠ ولكن ما كان يمكن ، لذلك الانسان الوحيد ، ان يضع ادبا ، وان يكون اديبا ، بمعنى الاديب الصحيح ، وهو (الذي يتلذذ ويزدهي باظهار البراعة والقدرة على التلاعب بعواطف الناس) ٠

فالأدب شكوى وحب وغرام وغزل ، وحنان وحنين وعتاب ، ومديح وهجاء ورثاء ، وحماسة وفخر ووطنيات ، ووصف وقصص وتمثيل ، وعظات وحكم وعبر ، ومزاح ودعاية ومسلاة ٠

والاديب في كل هذا انما يخاطب العواطف والضمائر ٠ فمن عساه يخاطب اذا كان وحيدا ٠ ليس له أهل ولا ولد ولا حبيب ولا رفيق ، ولا قراء ولا سامعون ، ولا نظارة ٠٠؟ ٠

فالادب ، اذا ، لايتكون ، ولا يلزم ، ولا ينفع ولا يصبح حاجة وضرورة ، الا في مجتمع ، ولا يزدهر الا مع الحضارة التي يكثر فيها عدد المتذوقين لسحر الادب ٠

وكما ان المجتمع يعمل على تطوير كل نوع من الانتاج الفكري لمصلحته وخيره ، فان عليه ايضا ، ان يطور الادب ، في مفهومه وغايته وغرضه ، حتى يجعله في خدمة الناس لخيرهم وخير المجتمع ٠

ومن هنا أنتهى الى غرضي من هذه التوطئة لأقول : ان الأدب ، بمعناه السامي هو (**فن توجيه المجتمع نحو الحق والخير والجمال**) ٠

ومن هنا وصف القرآن الشعراء ، حين ذمهم ، بقوله : (والشعراء يتبعهم الغاوون • ألم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون •) ثم استثنى بقوله : (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) •

ولولا هذا الايضاح لعلة الذم ، لكان ذم القرآن للشعر مثار العجب • لأن القرآن ، انما يعتمد أول مايعتمد ، على فن القول البليغ فى هداية العقول ، وتوجيه القلوب الى الايمان والعمل الصالح • اى يعتمد على سحر البيان الذى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى معرض ذكر الشعر ، **ان من البيان لسحرا** •

فالقرآن عندما ذم الشعراء ، لم يذمهم لأنهم أدباء بلغاء ، ولكن ذمهم من حيث انهم يهيمون فى كل واد وفى الحياة كثير من أودية الضلال : فيها الكذب ، والنفاق ، والهجو ، والغزل الداعر •• ثم ذمهم من حيث انهم ، اذا هاموا فى واد من اودية الحق والخير بحكمة بالغة ، أو موعظة حسنة ، أو كلمة طيبة ، يقولون مالا يفعلون • ومن أجل هذا التناقض بين حسن القول وسوء العمل ، لايصلحون أن يكونوا هداة للناس ، لأن وعظهم لا يكون له تأثير على القلوب وهذا شأن القرآن مع كل قائل وناصح وواعظ ومرشد ، شاعرا كان أو كاتبا أو خطيبا على منابر المساجد • ومن هنا نرى قلة تأثير الوعظ على السامعين ، الذين يعرفون من فعل الواعظ غير ما يسمعون من قوله •• فالقدوة الصالحة فى العمل شرط فى تأثير الوعظ ، بل ربما انعكس أمر الوعظ على السامعين واستهانوا بالدين اذا هم رأوا هذا الخلف بين القول والعمل عند رجل الدين ••• ومن هنا قد استعمل القرآن أقسى الاستهجان لهذا الوعظ الكاذب حين قال : «

« **كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون** » •

كل هذا يوضح لنا ان رب القرآن ، الذى خلق الانسان ، علمه البيان ، يريد ان يحول فن التلاعب بالعواطف ، عن الفوضى ليجعله (فن التوجيه الى الحق والخير والجمال) اى يريد للأدب معناه الاسمى ، ويريد للاديب مقامه الاسمى •• وهو أن يكون فى مستوى الخير الذى يوجه الناس اليه ••

طرابلس **« نديم الجسر »**

عيد ميلادى

للشاعر : حسن توفيق

عيد ميلادى تدلى من غصون الأزمنه
لاذع الطعم ، مريرا ، فيه رؤيا واهنه
فتمشت فى كيانى ذكريات محزنه
وتلفت ورائى •• لسيفى الساكنة

❊ ❊ ❊

كان فى قلبى حنين جارف للانهايه
عندما سارت حياتى فى دهاليز البدايه
كنت طفلا اتغنى فى الليالى بحكايه
نسجتها فى خيالاتى اساطير الشكايه

❊ ❊ ❊

كان قلبى فى ربيع حالم فوق القمم
تتراءى فيه دنيا بالأمانى تزدحم
وخيالات صفاء يتملاها النغم
ونجوم باسمات لم تنل منها الظلم

❊❊❊

ثم صار النور ذكرى تختفى فى اغنياتى
وتهز القلب هزا لذبول الأمنيات
وتهاوى الحلم يأسا فى الليالى المظلمات
صار وهما فى كهوف الحزن يمتص حياتى

❊❊❊

يا فؤادى اى جدوى لك من ذكرى بعيدة
قد تولى النور والماضى وأيامى السعيده
ومضى البلبل فى ليل الأسى ، اخفى نشيده
لتظل الروح تبكى ••• تشتهى أن تستعيده

« حسن توفيق »

أسبوع الكتاب العربي

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والإرشاد القومي

١٩٦٥

- معرض الكتاب العربي يشترك فيه ٥٧ هيئة .
- مؤتمر عام لمناقشة مشاكل الكتاب العربي .
- معرض لتطور فن الطباعة .
- معرض للفنون التشكيلية .
- ندوات لكبار الكتاب .
- عروض سينمائية .



دمنهور

من ٢٩ مايو إلى ٤ يونيه سنة ١٩٦٥

مقر اللجنة النقابية بوزارة الادارة المحلية شارع الجمهورية

العربُ في إفريقيا (١)



... في المحيط الهندى

للدكتور: عبد العزيز كامل

رحلة الشتاء والصيف :

فى شهر ديسمبر ترتفع الحرارة فى جزيرة زنجبار ، وتهب نسمات هادئة مقبلة من البحر مع الليل .. فاذا كان الصباح بدأنا نشاهد أول «داو» عربى بقلاعه الكبيرة تدفعها الرياح الموسمية الشمالية الى هذه الجزيرة التى قامت بدور خطير فى التاريخ العربى والاسلامى فى شرق افريقية ..

ويتوالى بعد هذا مجىء الداوات كل يوم حتى نهاية شهر مارس مقبلة مع الرياح ، ويتجمع منها ما يزيد على المائة ، وكانت من قبل تصل الى أربعة أمثال هذا القدر وتقف فى الميناء المخصص لها فى زنجبار .. وهى فى رحلتها هذه تحمل الاسماك المجففة والبلح والملح والسلال وثياب السارى الهندية والأصباغ من عمان وحضرموت ، والفواكه الجافة والمجففة والعطور والسجاجيد من ايران . والبلح والفخار من العراق، وأنواعا من القرميد من مانجالور فى الهند والسمن من سقطرة ، والماشية والماعز من الصومال ..

وبعد شهور من الشمس الساطعة وتهم الحر ، تهب العواصف المطرة فيعتدل الجو ويبدأ هبوب الرياح من الجنوب الشرقى ثم من الجنوب الغربى فتنشر الداوات قلاعها مع الرياح الموسمية ابتداء من ابريل فى رحلتها من شرق افريقية الى آسيا حاملة معها أعمدة المانجروف . وهذه الأعمدة أساس فى التجارة العربية يستخدمها العرب والفرس فى بناء السقوف وسوارى السفن . وخشب المانجروف قوى شديد التحمل يقاوم الآفات . وتأتى أطول أعمدته من دلتا نهر روفيجى وان كان قطع الاخشاب منتشرا على طول الشاطىء .. وتحمل الداوات معها أيضا ثمار نخيل الزيت والسكر والأقمشة القطنية البيضاء والحبال المصنوعة من الياف جوز الهند .

ويفد بعض التجار من آسيا الى افريقية كل عام وقد استقر نفر منهم واتخذوا من الساحل وطنا يعيشون فى مدنه وقراه ويخالطون أهله ويصهرون اليهم .

وهناك أنواع متعددة من الداوات كالسنبوق والبوم .. وهى أجلها ففيه يتجلى فن الشرق فى بناء السفن . ويصنع البوم من خشب الساج الهندى ، ويستطيع ان يعمل فى مياه المحيط الهندى خمسين عاما وهو مجهز بخرائط بحرية عربية. وللداو شراع مثلث كبير يلفه الربان اذا ما اشتدت العاصفة معتمدا على اتجاه الرياح وتيار الماء . ولهذا يقود الربابنة سفنهم بعيدا عن الشاطىء والشطوط المرجانية . ويسع الداو الكبير نحو ثلاثمائة راكب مع ما يحمل من تجارة .. وهو ـ فى فترة بقائه فى زنجبار ـ يقوم برحلات محلية قريبة يزور فيها بعض الموانى مثل قسمايو ولندى ، ثم يعود الى زنجبار يستعد لرحلته عبر المحيط ..

هذه هى رحلة الشتاء والصيف فى المحيط الهندى ، لا يستطيع أحد أن يحدد متى بدأت ، ولا من صاحب الداو الاول الذى استطاع عبور البحر العربى أو المحيط الهندى من الشاطىء الآسيوى الى الشاطىء الافريقى . وهذه الرحلة استجابة لظروف جغرافية دعت سكان الجنوب العربى والخليج العربى من قديم الى أن يقتحموا لجة المحيط الهندى ..

نداء البحر :

ويعود بنا هذا الى عرض موجز للملامح الطبيعية للجزيرة العربية المطلة على المحيط الهندى ..

فالجزيرة العربية ، ليست صندوق رمال وليست أرض الابل والحداة والقوافل البرية وحدها . ولكنها أرض تتنوع فيها البيئات وتوجه سكانها الى أكثر من وجهة فى طلب الرزق والاتصال بمن حولهم ..

ونحن فى الجانب البرى نقرأ ما من الله به على قريش فى قوله تعالى : « لايلاف قريش ايلافهم ، رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » ، وكيف انتظمت لهم رحلة جنوبية الى اليمن وما وراءها فى أرض الحبشة ، ورحلة شمالية الى الشام وما جاورها من أرض فارس ومصر . وكانت لقريش روابطها التجارية وعلاقات الود التى تربط بينها وبين حكام هذه الأقطار والتى جعلت مهد العرب بيئة مفتحة النوافذ على ما حولها لا تعيش فى عزلة أو انطواء . وانعكس هذا على أخلاقهم، فهم يأبون الضيم ويكرهون الذل . والأدب العربى ملء بالنماذج الداعية الى الحرية والعزة والحركة ..

كانت هناك اذن طريق برى ـ تربط اليمن بالشام ، تعاقبت عليها دورات من الازدهار والتدهور . وارتبط ازدهارها بنشاط التجارة فى المحيط الهندى وسيطرة السبئيين عليها كما ارتبط ـ عند بعض الباحثين ـ بظروف مناخية ملائمة . وكان لجنوب الجزيرة العربية ـ فى ازدهاره ـ منزلة عالمية يختلط فيها الواقع بالخيال ، ورسم لها المؤرخ اليونانى ديودور صورة حية فى القرن الاول الميلادى فقال عنها : « تفوح فى طول البلاد وعرضها روائح عطر طبيعى .. وتنمو على طول الساحل أشجار عطرية .. وفى داخل البلاد غابات كثيفة من أشجار البخور .. ومن المستحيل تمييز خواص كل شجرة منها لوفرة عددها وضخامة كميات العطور المستخرجة منها والتى تبدو كأنها هابطة من السماء .. وتحمل الرياح التى تهب من اليابسة فى الصيف روائح الاشجار العطرية فتوصلها الى الجزء المجاور لها من البحر .. والذين يتمتعون بهذه الروائح العطرية يخيل اليهم انهم ذاقوا طعام الخلود» ثم ذكر ديودور بعد هذا تفوق السبئيين على جيرانهم ونشاطهم التجارى البرى والبحرى ..

ولم تكن الحضارة السبئية هى الحضارة الوحيدة التى ازدهرت فى جنوب الجزيرة العربية قبل الاسلام ، وانما ازدهرت أيضا حضارات أخرى كالمعينية والقتبانية .

وهناك أوجه شبه بين هذه الأجزاء الجنوبية المطلة على الاطراف الجنوبية لساحل البحر الاحمر الشرقى وعلى خليج عدن والبحر العربى والخليج العربى .. فهنا بيئات جبلية تحجز بينها وبين البحر سهولا ساحلية ضيقة ، وتسقط على الجبال أمطار صيفية فى الجنوب العربى ، بينما يسقط بعض مطر الشتاء على منطقة الجبل الاخضر فى عمان . ومن الطبيعى أن يفيض الاقليم بسكانه نحو البحر ، ولهذا نظيره فى ساحل الشام.. أى ان عرب الجنوب قاموا بدور بحرى فى المحيط الهندى يشابه الدور الذى قام به سكان ساحل بلاد الشام فى البحر المتوسط ، وهو الذى بدأت مظاهره من عهد الفينيقيين حين أبحروا بسفنهم غربا حتى شمال افريقية ثم جاوزوها حتى عبروا مضيق جبل طارق الى غرب أوربا ، واستمرت هذه التقاليد البحرية فى العهد الاغريقى والرومانى وورثها الاسلام فكانت له ثلاثة أساطيل فى البحر المتوسط : أسطول الشام واسطول مصر وأسطول المغرب .. ولهذا حديث أرجو أن أعود اليه فى دراسة مقارنة .

ولقد ساعد عرب الجنوب على أن يستمعوا الى نداء البحر انتظام هبوب الرياح الموسمية فى المحيط الهندى صيفا وشتاء . وكان الرياح بهذا كانت الربان الحقيقى للسفينة تدفعها من الخليج والجنوب العربى الى شرق افريقية شتاء ، ثم تعود بها صيفا الى الوطن .

ومن الراجح ان صلة العرب بشرق افريقية سابقة لصلة الهند به ، ذلك لان شاطىء شرق افريقية يتجه من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى ، وهو نفس الاتجاه الذى يتخذه الشاطىء الجنوبى للجزيرة العربية حتى الخليج العربى ، وقد كفل هذا الاتجاه للسفن رحلة آمنة فى مراحل الملاحة الأولى لا تبتعد فيها عن الشاطىء كثيرا .. فاتجاه الشاطىء هو اتجاه الرياح فى رحلة الشتاء والصيف . والمسافة بين زنجبار وعدن نحو ٢٧٠٠ كيلو متر والى مسقط نحو ٣٥٠٠ كيلومتر ، بينما المسافة المباشرة عبر المحيط الهندى من ممبسة فى كينيا الى بومباى فى الهند نحو ٤٠٠٠ كيلومتر وهى لا تزيد كثيرا عن طول البحر المتوسط

الا أن وضع العرب كان افضل لاتجاه الساحل الذى كفل لهم جانبا من الامان لاتفاقه مع اتجاه الرياح فى هبوبها الصيفى والشتوى . أما الملاحة المباشرة بين الهند وشرق افريقية فتحتاج الى سفن أكبر ومخاطرة أعظم اذا ما اخترقت المحيط مستفيدة من الهبوب المنتظم للرياح الموسمية .

وتمتاز منطقة عمان بانها تطل على البحر من الشمال والشرق والجنوب . أما الغرب فصحراء قاحلة .. وبهذا كانت عمان فى الواقع جزيرة يحيط بها بحر من الماء والرمال .. وهى بهذا جبل أخضر متميز عما حوله بغناه النباتى وليس أمام سكانه الا البحر يركبون موجه وينشرون اشرعة سفنهم مع رياحه . وفى هذا تختلف منطقة عمان عن رأس الخليج العربى حيث قامت موانى سيراف والبصرة .. فهذه الموانىء كان لها ظهير من أرض زراعية تستند اليه ، وغنى نباتى ممتد يكفل لها الحياة اذا ما عاقها عن النشاط البحرى عائق . ومن هنا كان الدفع الجغرافى فى عمان قويا .. وكان نداء البحر عميق الاثر على سكان الاقليم . فارتبط تاريخهم بتاريخ شرق افريقية من قديم .

مشكلات ملاحية :

واقرب النقط البحرية بين الجزيرة العربية وافريقية مضيق باب المندب ، فالشاطئان يتقاربان فتكون المسافة بينهما أكثر من عشرين ميلا ، ومن اليسير رؤية أحد الشاطئين من الآخر فى الأيام الصافية . وبين الشاطئين مجموعة من الجزائر الصغيرة أهمها جزيرة بريم، ومع أن التيارات البحرية سريعة فى هذا الجزء من البحر الاحمر الا أن اجتياز المضيق لم يكن عقبة أمام الحركات البشرية بين الشاطئين . ولقد عرف الشاطىء الافريقى الهجرات العربية كما عرف الشاطىء العربى هجرات افريقية . وكان عرب الجنوب ـ سياسيا ـ يسيطرون أحيانا على الشاطىء الافريقى ويخضعون له أحيانا أخرى . فالاتصال البحرى فى هذه المنطقة من السهولة بحيث يكاد يكون بريا .

ثم تتسع الشقة بين الشاطئين فى خليج عدن ويتوازى الشاطئان تقريبا حتى رأس جاردافوى (أى الفنار) وهى أقصى امتداد قارى لافريقية نحو الشرق فى الصومال . وتزداد المسافة البحرية بعد هذا فى الخليج العربى ، وان ظل تأثير اتجاه الشاطىء والرياح قائما . ويستمر هذا التأثير فى السواحل الجنوبية لايران . وجميع هذه الاجزاء تسودها المؤثرات العربية حتى نهر السند فى باكستان الحالية.. ولا زال العرب يعيشون على جانبى الخليج العربى والاجزاء الجنوبية من ايران .

الا أن الجزيرة العربية تفتقر الى الاخشاب الصالحة لبناء السفن والى معدن الحديد اللازم لها . وكان عليهم أن يحصلوا عليهما من مصدر غير بلادهم . وفى هذا تختلف الأجزاء الجنوبية والشرقية من الجزيرة العربية عن ساحل الشام حيث توفرت الأخشاب اللازمة لبناء السفن . واليها كانت تتجه قوافل التجارة من مصر لتحصل على ماتحتاج اليه من خشب وهذه قصة عرفتها مصر من عهدها الفرعونى. واذا كانت الشقة قريبة بين الشام ومصر ، فان عرب الجنوب وجهوا انظارهم الى الشاطىء الافريقى ليحصلوا منه على حاجتهم .. ولنتصور هؤلاء الأجداد فى أعماق التاريخ وهم يقتحمون البحر الى الشاطىء الافريقى فيقطعون الاخشاب من الشاطىء ويبنون منها السفن ويحملونها بالاخشاب ويعودون بهذا الى ديارهم ليتابعوا تجارتهم ويوسعوا نطاقها .

والشاطىء الافريقى ليس شاطئا سهل المراس مفتوح الابواب لاى طارق .. فهناك فى العروض الاستوائية حيث الحرارة والماء الصافى الضحل تنمو امام الشاطىء شطوط مرجانية ترتفع عن قاع المحيط ويتكسر عليها الموج وتعوق السفن عن الوصول الى الشاطىء الا اذا كانت صغيرة .. وكيف تعبر السفينة الصغيرة المحيط ؟!.

هذه الظروف الاستوائية لها آثارها على اليابس القريب المجاور . فالأمطار تسقط على الهضبة والجبال وتنحدر الى الشاطىء حاملة معها رواسب من مفتتات الصخر ، وتلقى هذه الرواسب فى مياه المحيط الشاطئية الضحلة . وفى هذا الماء العكر لا يمكن أن ينمو المرجان .. وبهذا تتكون أمام مصبات الأنهار فتحات فى شطوط المرجان توصل ما بين البحر العميق وشاطىء القارة . وتوفر مصبات الانهار اماكن صالحة لبناء الموانى وحماية السفن من عواصف المحيط .

وامتاز شاطىء شرق افريقية بتطور جيولوجى أدى الى تكوين مجموعة من الجزر الساحلية من أهمها جزائر زنجبار وبمبا ومافيا وسونجا مفارا وكلوة ، هذا الى مجموعة من الجزر فى النصف الشمالى من

مضيق موزمبيق الضخم بين مالاجاشي (مدغشقر) والقارة ، وهي التي عرفها العرب باسم واقواق اليمن .. وهذه الجزر الافريقية الكثيرة من الممكن اتخاذها قواعد بحرية للاقامة والتجارة . ولها جميعا بحكم موقعها ميزة الاستفادة من اتجاه الرياح الموسمية والاقتراب من القارة وتوفر الموانى الصالحة .. ولكن أى خطأ من ربان السفينة فى رحلته قد يدفعه الى الشطوط المرجانية فيحطم سفينته .. ثم هو فى رحلته - فى هذه العصور القديمة - كان عليه أن يحسن الاستفادة من النجوم ومواقعها وأن يكون على علم بمعالم الشواطىء .. رءوسها وخلجانها ، فعلى هذه المعرفة تتوقف حياته ومصير تجارته ..

ويبدو أن توسع العرب جنوبا فى المحيط الهندى ارتبط - الى حد بعيد - باتجاه الرياح الموسمية ومجال هبوبها . وكانت آخر الموانى التى يصلون اليها سفالة الزنج على خط عرض عشرين درجة جنوب دائرة خط الاستواء . وعنها يقول ياقوت فى معجمه: « آخر مدينة تعرف بارض الزنج ، والحكاية عنهم كما حكينا عن بلاد التبر بأرض جنوب المغرب من أنه يجلب اليهم الامتعة ويتركها التجار ويمضون ثم يجيئون وقد تركوا ثمن كل شىء عنده ، والذهب الغالى معروف عند تجار الزنج » (٣:٢٢٤ ط بيروت)

والى جنوب سفالة يسود نظام آخر من الرياح ويتغير نظام المناخ ولم تكن فى الاقليم الجنوبى وقتئذ عروض تجارية تغرى بالمخاطرة نحو الداخل ، ومن ناحية أخرى كانت الشعوب الافريقية تتولى وقتئذ أمر التعدين وصيد الفيلة . وكانت التجارة على الساحل ، فاذا كان هناك ما يدعو الى التوغل فى قلب الجزء الجنوبى من القارة ، فان الافريقيين كانوا يقومون بهذا العمل فى أول الأمر ثم أسهم فيه العرب من بعد ، كما سنرى .

وصفوة القول أن المحيط الهندى كان يمثل عالما تجاريا متكاملا يربط بين الشعوب المطلة عليه وكان الخليج العربى والجنوب العربى فى مركز متوسط بين الهند وشرق افريقية وهذا ما مكن لعرب الجنوب أن يكون لهم نشاط تجارى مع كل من الشاطئين الهندى والافريقى . وكان انتشارهم ، من مراكزهم المتوسطة فى عالم المحيط الهندى ، متكاملا مع نشاطهم البرى عند مداخل ونهايات كل من البحر الاحمر والخليج العربى ، ووثق صلاتهم بأجزاء كثيرة من العالم القديم فى مراحل مبكرة من تاريخ الانسانية .

« د. عبدالعزيز كامل »

ثورة

للشاعر: حسن عبدالله القرشي

قد قلت أنت خادعى بالكلم المزور
حكاية الوفاء منك ، كرمة لم تعصر

ملأت مسمعى بها حينا ، وظلت تمرى
اكذوبة ، كبيرة بلهاء لم تستتر

أنت تفى ؟ يا طالما سجلتها فى اسطرى !
حتى لقد يئست من حبك لى يا مفترى

حتى لقد خجلت من عيون كل البشر !
حكاية الوفاء دعها دمعة فى محجرى

وقصة الحنين والهوى ، وبوح القمر
دعها غداء لنشيدك المنمق الطرى !

* * *

وقلت غير ذا كثيرا يا هواى العبقرى
يا أمل المفتر يا عطر صباحى الأشقر !

لم ينسنى ذاك هواك فهو ملء أصغرى
وهو حديث الكون نجوى العاشقين السمر

هو ارتعاشة الربيع ، وابتسام الزهر !
لكن برغم ثورة على الهوى المزدهر

برغم يأسك العميق ، وانفلات الضجر !
سوف أظل سيد الوفاء ، زاكى السير
وسوف تشهديننى ككنزك المدخر !

السعودية « حسن عبد الله القرشى »

التفاوت بين التقدم الروحي والتقدم العقلي

بقلم: محمد الغزالي

هناك شعور عام بأن العالم قطع مراحل شاسعة فى طريق التقدم العقلى ، لكنه تخلف ، أو – على احسان الظن – بقى مكانه من الناحية الروحية .

وقد نشأ عن ضمور ملكاته الادبية وتضخم قدراته المادية تفاوت مقلق . اختل معه سير القافلة البشرية، واتزانها ، وبصرها بما تقبل عليه أو تحجم عنه

وصارح عدد من المفكرين الكبار بتشاؤمهم من هذا العوج ، كما ان لفيفا ضخما من رجال الدين والاخلاق لا ينقطع جؤارهم من القحط الروحى الذى يسود ارجاء الارض والذى يطلق الافراد والجماعات مسعورة وراء مطالبها الخاصة لا يلوى عنانها بشىء

وأريد ان اكون حذرا فى تناول هذا الموضوع ، لا لريبتى فى صدقه ، بل لرغبتى فى استبانة ماينشده الضائقون بالتقدم المادى والارتقاء العقلى المجرد

انها غيرة مشكورة ان ننوه بالتسامى النفسى ، وان نحض الناس على العودة الى الدين ، والتشبث بتعاليمه ، ولكن يجب ان يكون مفهوما ان الفضائل والعبادات التى قررها الدين لا تعوق بتة ازدهار الحياة وتقدمها المادى .

ان الانسان عقل وقلب ، والظن بان يقظة القلب ما تتم الا مع خمول الفكر وازدراء الدنيا ، خطأ فاحش .

وكذلك الظن بأن سيادة العقل ما تتم الا بتضحية الايمان وايحائه خطيئة كبيرة . ان الاعصار الاخيرة شهدت نتاجا عقليا رائعا نقل العالم من حال الى حال . وأريد أن أقرر دون تردد أن جهاد العقل الانسانى ومكاسبه التى ظفر بها موضع احترامنا ، وان هذا الجهاد اذا كان قد مضى فى طريقه منفردا ، لم يستصحب الدين معه ، فليس هو الملوم فى ذلك ..

فان كثيرا من اهل الدين اساءوا الى ربهم والى انفسهم يوم بخسوا العقل قيمته ، وافتعلوا العراقيل امام حركته

واذا كانوا اليوم يبكون لمتاعب العالم الروحية ، فليس الاستماع اليهم سليما بوجهة نظرهم فى قيادة الحياة حسب ما يتصورون .

ان التدين الذى انكمش امام اقدام العلم ، وقبع مكانه ساخطا على ثمرات التقدم المدنى ، لا يستحق فى نظرنا ان يعطى فرصة أخرى لتخريب الدنيا وشل نمائها .

يجب ان يزداد التفوق العلمى مقدرة على خدمة البشرية ، وغاية ما نريد ان يصحبه على الطريق وحى الله وسنا توجيهه حتى لا يضل او يزيغ..

لقد اخطأ بعض المتدينين فظنوا زكاة الروح ما تتم الا بدمار الجسد ، وضمان الآخرة ما يتم الا بضياع الدنيا .

ومضيا مع هذا التفكير الشارد تجهموا لأسباب الحياة والارتقاء ، ووقفوا بعيدا يرمقون الحضارة الانسانية الزاحفة وهى تكبو حينا ، وتستقيم حينا آخر .

ولعلهم – وهم يستمعون للتنديد بضراوة المادية فى العالم – يقولون : الم نتوجس خيفة من هذا المصير ، ونحذركم الانحدار اليه ؟

ونحن نقول لهؤلاء : على رسلكم ، ان ما تريدون للعالم ليس شرا مما نشكو منه الآن .

ان كل تدين يجافى العلم ، ويخاصم الفكر ويرفض عقد صلح شريف مع الحياة هو تدين فقد صلاحيته للبقاء بله القيادة

وما نظن اهل الأرض لعودة اليه بعد ما منحوا نعمة الخلاص منه .

التدين الحقيقى ايمان بالله العظيم ، وشعور بالخلافة عنه فى الأرض ، وتطلع الى السيادة التى

اقتضتها هذه الخلافة أعنى السيادة على عناصر الكون وقواه

ولا تتاح هذه السيادة بداهة الا لعقل ذكي جواب في الآفاق ، طلعة الى اقتحام المجاهل ، راغب في تطويعها لمشيئته .

التدين الحقيقي ليس جسدا مهزولا من طول الجوع والسهر ، ولكنه جسد مفعم بالقوة التي تسعفه على اداء الواجبات الثقال ، مفعم بالأشواق الى متاع الحياة .

فان كان حلالا طيبا ارتفعه وابتهج به ، وان كان كسبا خبيثا ابتعد عنه وهو قادر عليه

ان الاستعفاف عن المفقود الميئوس منه ليس تقوى ، بل هو كصفح العاجز عن الانتقام لنفسه ، لا دلالة فيه على سماحة او تطول :

كل حلم اتى بغير اقتدار
حجة لاجيء اليها اللئام

وعظمة الايمان انما تتألق وسط دنيا يملكها المجتمع المؤمن ، ويستطيع الانغماس في فتنتها ، ومع ذلك فهو يحكم نفسه ويحكمها باسم الله .

عظمة الايمان تعتمد ابتداء على فقه في آيات الكون يقف المرء على اسرار الابداع الأعلى، ويشعره بما يستحقه الخالق الكبير من مجد وحمد .

عظمة الايمان تقوم على نشاط عقلى لا حدود له ، يواكبه نشاط روحى لا يقل عنه كفاءة ، بل يربو عليه .

اما اهزال الفكر الانسانى ، واضعاف ثماره ، حتى يستطيع التدين المعلول أن يملك زمامه ، فذاك ماترفضه كل الرفض .

اذا كان عالمنا يشعر بضوائق روحية معنتة في هذه الأيام فالعلاج الفذ ليس شجب التقدم العسكرى والصناعى ، ولكن جعل هذا كله في وصاية ايمان ممدود المفهوم رحب الدائرة يؤمن بالانسان عقلا وقلبا ، ويستجد ايمانه ذاك من معرفته لله واستمساكه بهداه ..

اما تصور التقدم الروحى على انه استرخاء فكرى .. يجر سبات الليل الى سحابة النهار او عودة بالانسان الى عالم من الرؤى والفنون الحالمة والآداب الهائمة ، فهذا ليس تقدما بالحياة ، ولكنه عوج من طراز آخر ..

فلنعد ـ بعد هذا التنبيه ـ الى سماع الشكوى من الازمة الروحية في عالمنا الحاضر ..

انها شكوى صادقة كل الصدق فان الحضارة الحديثة تقوم على عبادة الحياة الدنيا ،والاستكثار جهد الطاقة من لذاتها او التسابق المضنى لجمع حطامها ..

اما الصلة بالله فهى ـ مع ضعفها البالغ ـ ماتظهر في وعى الناس الا لماما ، وقلما كمن الايمان بالله وراء نية باعثه ، أو اقترن بغاية كريمة .

ودعك من الحديث عن اليوم الآخر ، فان ذكر ذلك في مجمع جاد أمر يثير الدهشة والتهمة !!

وعواصم اوربا وامريكا ـ وهى مصدر النظم المدنية التى تسود الارض الآن ـ سواء في هذا المعنى .

فالعالم الشيوعى الشرقى والعالم الرأسمالى الغربى قد يختلف احدهما عن الآخر في اسلوب الحياة ، ولكنه يوافقه في ان الحياة مقصودة لذاتها وان ما وراءها وهم ، وهذه الوثنية الجديدة ـ أعنى عبادة الحياة وحسب ـ هى الطابع الدميم للحضارة الحديثة وقد تناول المؤرخ الانكليزى الكبير «توينبى» هذه الحقيقة بعبارات استرعت انتباهنا قال : «انى اشعر بانحسار الاديان الكبرى المعروفة وظهور عبادة القوة البشرية» مرة اخرى في العالم الحديث . ظهرت هذه العبادة في شكليها التقليديين شكل عبادة الدولة المحلية او عبادة الدولة العالمية . وعبادة الدولة المحلية تظهر بصورة جلية في النزعات القومية ، بينما تتمثل عبادة المجتمع العالمى الى حد ما في الشيوعية ، وفي الامل الذى يداعب الكثيرين نحو تحقيق ضرب من الوحدة العالمية او الحكومة العالمية .

وانى افترض ان هذه الصور لعبادة القوة البشرية الجماعية تشمل ٩٠٪ من الشعور الدينى او ٩٠٪ من سكان العالم في الوقت الحاضر ..

قال : «والواقع ان الارتكاس في عبادة القوة البشرية الجماعية بنوعيها السابقين هو السبب الحقيقى للمتاعب والاضطرابات التى تنشب بين الناس . ان الاديان الكبرى جميعا مهملة وآخذة

فى التلاشى . وربما توقف مستقبل الجنس البشرى على عودتها الى السيطرة او عجزها عن ذلك» .

وكلام هـذا المؤرخ الكبير يشير من قرب الى موضع الداء فى الحضارة الحديثة ، فالناس يدورون حول انفسهم ولايعرفون الا يومهم هذا ..

وحديثه عن الشيوعية مسلم كله ، لأنها مذهب ظاهر الكفر بالله ووحيه . اما القوميات ، فلعله ابتداء يقصد النزعات العنصرية الحادة التى عرفتها ومانزال تعرفها اوربا وامريكا .

ولما كانت هـذه القوميات ذات مفهوم اجوف فارغ فان المتعصبين يحشونه باهوائهم التى لاخير فيها قط ، وربما قبل هؤلاء المتعصبون للجنس أو اللون ، ان يستضيفوا الدين حينا من الزمن ، بيد انهم لايسمحون له ابدا ان يكون رب البيت ، انه ضيف موقوت الاقامة ، يجوز طرده ان تجاوز حده !!

وليس الفيلسوف الانكليزى «توينبى» وحده هو الذى يسوى بين العالمين الشيوعى والرأسمالى فى عبادة الحياة ونسيان الدين «لا» فان «الكسيس كاريل ، فى كتابه «الانسان ذلك المجهول» يشرح ذلك بتفصيل وابانة ، فيقول : ان الدول التى تبنت بغير تبصر روح الحضارة الصناعية وفنونها مثل روسيا وانجلترا وفرنسا والمانيا معرضة للاخطار ذاتها التى تتعرض لها الولايات المتحدة ، ومن الواجب ان يتحول اهتمام الانسانية من دنيا الآلات وعالم الجماد الى جسم الانسان وروحه . لكن ماهى الاخطار التى تعرض لها العالم الحديث؟

انه يفصل ذلك فيقول : «كان من الطبيعى ان تضطر القيم الادبية الى التخلى عن مكانتها للانتصارات العقلية التى جلبت لنا الثراء والترف ، واكتسح العقل المعتقدات الدينية واصبحت معرفة القوانين الطبيعية ، والقوى التى تهيئها لنا هـذه المعرفة لتسخير العالم المادى هى الشىء المهم» .

ويقول : «لقد اطلقهم العلم العصرى من القيود الادبية التى كان يفرضها عليهم النظام الدينى البحت . وهكذا حررتهم الحياة العصرية من القيود الثقيلة التى كانوا يعانون منها الأمرين ، كما انها تحفزهم على العمل من اجل الثراء بأية وسيلة مستطاعة ، بشرط الا تؤدى بهم هـذه الوسيلة الى السجن !!! وتفتح امامهم جميع بلاد العالم بعد ان حررتهم من شتى العوائق ! وتتيح لهم اشباع رغباتهم الجنسية بطريقة سهلة كلما احسوا بالحاجة الى اشباع هذه الرغبة !! انها خلصتهم من كل عناء ونظام ، ومن كل مايسبب الضيق والتعب » .

ويقول : «لم يسبق للبشر ان طعموا بمثل هذا النظام الدقيق نظرا لما طرأ على حياتهم من ثراء كان عاما الى اعوام قليلة مضت . ولضعف الروح الادبية فيهم اضحوا منصرفين عن الصوم» .

ويقول : «لقد انحلت روابط الأسر ولم يعد للألفة والمودة وجود ، لأن حياة الجماعات الصغيرة قد حلت محلها حياة القطعان الكبيرة » ...

وشرق اوربا وغربها سواء فى البعد من الله ، والحرمان من الحق وفقدان المبادىء التى تمد الخاصة والعامة بالرضا والقرار .

ولا جدوى للأنظمة المدنية التى ولدتها الثورات المختلفة من حمراء وبيضاء .

واسمع لمؤلف « الانسان ذلك المجهول » يقول : « ان نظم الحكومات التى انشأها اصحاب المذاهب فى عقولهم عديمة القيمة ، فمبادىء الثورة الفرنسية وخيالات ماركس ولينين تنطبق فقط على الرجال الجامدين ، ويجب ان يفهم بوضوح ان قوانين العلاقات البشرية غير معروفة ، فان علوم الاجتماع والاقتصاد علوم تخمينية افتراضية »

اى انها قائمة على ظنون ، وامر الحياة اكبر من ذلك « ان الظن لا يغنى من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون »

ما المخرج من هذه الضوائق ، وكيف يجد العالم سناءه الفكرى والروحى معا ؟

الراشدون من رجالات الفكر يتفقون على ان

شفاء العالم من سقامه مرتبط بعودة الايمان الى القلوب الفارغة وعودة الاديان الكبرى الى مكانتها المفقودة .

وهذا الرجاء سيبقى سرابا خادعا مالم نعرف لماذا فقدت هذه الاديان مكانتها ؟ ولماذا افلت زمام الحياة من يدها ؟

وهل الارواح الظامئة الى الحق واجدة ريها فى اتباع هذه الاديان ؟ وهل الجماهير الفقيرة الى الامان والسكينة ظافرة بطلبتها فى رحاب العقائد الموروثة ؟ احب ، بين يدى الاجابة على هذه الاسئلة ، ان اذكر امورا لابد منها . ان الاديان الارضية يجب سلخ هذه التسمية عنها . فهى فلسفات شاعت بين اصحابها وليست اديانا على الحقيقة .

ومايصح ان يلتمس علاج لعلل الناس من تفكير ارضى بحت ، فيه من الخطأ اضعاف مافيه من الصواب ، وفيه من القصور اضعاف مافيه من التمام .

وما انقطعت نسبته الى السماء ، فوصفه بأنه دين ضرب من التجوز قد يقبل استصحابا لبعض الملابسات ، بيد اننا نرفض بتة ان نعد هذه العقائد اديانا يستريح الناس فى ظلالها .

ان الاديان السماوية المعروفة الباقية الى يوم الناس هذا ، هى اليهودية والنصرانية والاسلام .

ونحن المسلمين نؤمن بكتب السماء ، ونسوى بين موسى عيسى ومحمد فى انهم رجال صدقوا الرغبة الى الله واخلصوا النصح لعباده ، وحاربوا الشيطان ووساوسه ومهدوا طريق التوبة والعبادة والاحسان .

وفى مواجهة المحنة الروحية والخلقية التى تسود الأرض ، ينبغى أن يعرف من من اتباع الأنبياء يسأل عنها ويحمل النصيب الاوفى فى ملاقاتها ؟

ان اليهود اليوم فى اقوى مراحل تاريخهم واذكاها ، وقد استطاعوا ان يسخروا قوى هائلة فى اقامة دولتهم اسرائيل .

فهل شم احد رائحة التقوى والسمو فى النشاط الدينى الذى تقوم الصهيونية تحت رايته ؟

وهل شام احد بريقا من خير وعفة فى قيام اسرائيل تحمل لقبا لواحد من الانبياء ؟

الواقع ان بنى اسرائيل من وراء الكبوة الخطيرة التى تعانيها الانسانية هنا وهناك ، ومن الحماقة التماس هدى للعالمين فى شىء عندهم ..

ونظرة أخرى الى الاستعمار الغربى الآثم : لقد جثم على مساحات فيحاء من ارض القارة المحروبة «افريقية» وبقى اعصارا طوالا يعب من خيراتها وينهب ثرواتها الظاهرة والباطنة ، ويتخذ النصرانية ستارا لأطماعه فماذا جنى من هذا المسلك ؟

لقد اغتنت اوربا من المال الحرام ، وجبيت اليها ثمرات كل شىء ، واختفى الماء من الموائد لتحل الخمر محله ! وعريت الاجساد عن البسة التقوى لتكرع النفوس من الشهوة كيف شاءت ، وانجرف الآباء الروحيون مع التيار السائد !

فهل هذا المسلك هو الذى يمهد للناس طريق العودة الى الله ؟

اما الاسلام فهو دين يتيم ، ليست له اليوم ابوة روحية وثقافية تجلو معدنه وتبدى حقيقته .

ولعله مشغول بالدفاع عن نفسه وارضه ضد الضغائن الهابة عليه من يمين وشمال .

فكيف يقدر فى هذا الوضع على الوفاء بحاجة العالم الى السلام النفسى والاجتماعى ؟

ان العالم يتلوى من الفراغ الروحى الرهيب الذى اسعر فى جنباته نوازع الاثرة والتظالم والجشع .

وهو أفقر مايكون الى منقذين من الطراز الذى وصف الله رجاله بانهم يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله .

ولعل العرب يقدمون للانسانية هذا الدواء ، ويؤدون الرسالة التى تخيرتهم لها السماء .

«محمد الغزالى»

الشاعر: محمود حسن اسماعيل

للدكتور: محمود قاسم

فى الاسبوع الأول من هذا الشهر اقامت كلية دار العلوم حفل تكريم للشاعر الاستاذ محمود حسن اسماعيل بمناسبة ظهور ديوانه الجديد « قاب قوسين » تحدث فيه الأساتذة : الدكتور مهدى علام ، الدكتور محمد غنيمى هلال ، الدكتور احمد الحوفى ، الدكتور احمد هيكل ، والشاعر محمد الفيتورى ، وهذه هى الكلمة التى القاها الدكتور محمود قاسم عميد الكلية فى هذا الحفل :

لقد عرفت شاعرنا أيام دراستنا فى دار العلوم ، وزاملته ثلاث سنوات ، وما كنت استطيع ان ازامله فى الرابعة ، اذ كان أسبق منى الى التخرج فى هذه الكلية العتيدة .

ثم اتجه كل منا الى طريقه فى الحياة ، فسافرت الى الخارج ثم عدت ، وتقلب الشاعر فى مناصب عدة ، جمعت بين التدريس بوزارة المعارف ، والعمل فى المجمع اللغوى ، والاذاعة ، حيث يتولى الآن منصبا كبيرا هو منصب : المراقب العام للبرامج الثقافية .

لكن : لئن اختلفت بنا طرق الحياة ، فما زالت ذكرى تلك الفترة الجميلة التى قضيناها معا حية فى خاطرى ، وما برحت تلك الجهود التى بذلها ، ويبذلها الشاعر « محمود حسن اسماعيل » رباطا قويا بيننا ، وعاملا من عوامل اذاعة اسم دار العلوم فى الوسط الثقافى والاذاعى لا فى مصر وحدها ، بل فى بلاد الشرق العربى بأسره .

وما زلت أذكر تلك الموجة الغامرة من الحماسة التى قابلت ظهور ديوانه الاول ، والتى هزت مشاعرنا جميعا أيام الدراسة عندما فجانا « محمود حسن اسماعيل » ، وهو بعد طالب ، بديوانه «أغانى الكوخ» عام ١٩٣٤ م .

وأعتقد أن هذه الحماسة لم تكن وليدة نوع من الانفعال الوقتى أو العابر ، فاليوم بعد أن اكتملت تجاربنا يمكننا أن نفسر هذه الظاهرة تفسيرا اجتماعيا ونفسيا دقيقا صادقا :

ان عنوان الديوان فى نفسه ، يفصح عن السبب فى الهاب مشاعرنا بصفة لا شعورية ، ذلك أن «أغانى الكوخ» قد نبعت من صميم واقعنا ، ومن أعماق ريفنا ، وفيها رأينا كيف تتمايل سنابل القمح ، وكيف تتعانق ، وفيها سمعنا كيف تصدح البلابل فى الآصال والسحر ، وفيها شهدنا كيف تهتز أعواد النخيل فى ضياء القمر ، وفيها أحسسنا كيف تتردد أصداء الآمال فى صدور الشباب الذى كان يرنو الى مستقبل أفضل مما شهده الآباء والاجداد .

والحق انه ما كان يدور بخلد أحد منا فى تلك السنوات العجاف ، أن الاقطاع سوف يقضى عليه بين يوم وليلة ، وأن قرانا البائسة الجاثمة كقطع من الطين على صدر ريفنا الاخضر ، سوف تبتسم مع ابتسامة الزهر ، وأنها ستشدو مع الفلاق فجر عهد جديد ، تنعم اليوم بعزته وكرامته .

لكن ربما كان شعورنا حينذاك يداعبه حلم التحرر من ربقة الذل التى فرضتها علينا عهود تاريخية قاسية .

وهكذا ندرك الآن جيدا كيف كان الشاعر «محمود حسن اسماعيل » أحد ثلاثة حملوا لواء المدرسة الحديثة فى الشعر العربى المصرى ، أولهم هو ، والآخران هما :

الشاعران : ابراهيم ناجى ، وعلى محمود طه ·

وربما أتاحت لمحمود حسن اسماعيل بيئته الريفية ، كما أتاح له الهامه الشعرى الفياض – أن يكون غزير الانتاج ، وأن يكون أكثر صدقا وأصالة فى رسم لقطات حية أخاذة من صميم بيئتنا الريفية·

وأمر آخر يشاركنى الجميع فى تقريره ، وهو أن ديوان « أغانى الكوخ » يمتاز بأنه كان بدءا لمذهب جديد فى ابراز الصور الشعرية التى تبعث الحياة ، وتجعلها تفيض بل تتراقص فى مقطوعاته التى يأتلف فيها الخيال الطليق مع الايقاع الموسيقى المتقن، وهذا هو السر فى أن « محمود حسن اسماعيل » لم يتقدم عفوا لكى يتزعم مدرسة شعرية جديدة ، تعتمد على الصور النابضة بالحياة ، وعلى الرمز الخلاق ، وهى مدرسة لها خصائصها وطابعها الفريد فى نوعه ·

ثم تتابعت دواوين شاعرنا الكبير كديوان «هكذا أغنى» وديوان «أين المفر» ثم « نار وأصفاد » وأخيرا ظهر : «قاب قوسين» الذى نكرمه اليوم من أجله · غير أنى أعتقد أنه ليس من التكرار فى شىء أن أشير الى أمر له أهميته ومغزاه وهو أن « محمود حسن اسماعيل» يعد أحد طلائع من اسهموا فى تطعيم أغانينا بعدد من القصائد الغنائية : «كالنهر الخالد» و «دعاء الشرق» و «بغداد» وهى أغنيات تثبت روعة الفصحى فى الغناء أيضا ·

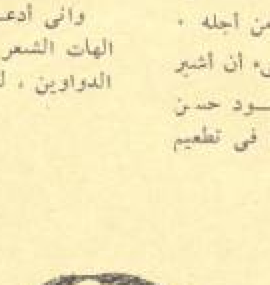
تلك كلمات قليلة ، عن جهود شاعرنا فى مجال الشعر ، غير أن لمحمود حسن اسماعيل مجالات أخرى ، لم يكن فيها أقل شأنا منه فى مجال الفن والتعبير والرمز ، وأعنى بذلك – نشاطه فى ميدان له خطورته الثقافية ، وهو ميدان البرامج الثقافية بالاذاعة ، والرقابة على كل ما يذاع من نتاج الفكر ·

وما برحت الاذاعة فى مصر تفيد من خبراته وثقافته منذ عشرين عاما ، وهذه الحقبة الطويلة ، دليل كاف على نجاح شاعرنا وأديبنا ، فى بلورة كثير من القيم والمفاهيم الثقافية والاخلاقية ، التى اعتقد أنها أصبحت دستورا للعمل الاذاعى فى جمهوريتنا، وفى الاقطار العربية الاخرى ··

وقد علمت أن شاعرنا مازال يجد كثيرا من الوقت رغم مشاغله الثقافية والاذاعية ، وأن هذا الوقت الذى يقتنصه وسط زحمة العمل – سيتيح له أن يخرج تباعا دواوين أخرى سماها : « رياح المغيب » و « الباب الموصد » و « سواقى الغمام » ·

وانى أدعو الله أن يخصب وقته ، وأن تلاحقه الهات الشعر وشياطينه حتى يخرج لنا هذه الدواوين ، لتكون فخرا لنا وله ··

« د · محمود قاسم »



قصيدتان

للشاعر : أحمد رامى

لقيا

نعمت بلقياك يا ناديه … كأنى فى جنة عالية
جمال ترف عليه القلوب … وروح مجنحة ساميه
وقلب يكاد لفرط الحنين … يذوب مع النسمة الساريه
وذوق يدب الى كل حسن … فيختار من كنزه الغاليه
وفهم يدق لوعى الوجود … فلا تختفى عنده خافيه
سمرنا وكان الندى بهيا … بطلعتك النضرة الزاهيه
ودار الحديث على السامرين … وأنت لأسماعنا ساقيه
فلم ادر هل كان بى نشوة … من الكاس ام منك يا راويه
نزلت حماك وكنت غريبا … فصرت كأنى فى داريه
ونلت من العطف ما ترتوى … بأندائه نفسى الصاديه
سقاك النعيم كئوس المنى … ودامت لك العيشة الراضيه
وهنى، من حاز هذا الجمال … فقد فاز بالدرة الغاليه

حسرة

مر يومى لم أنل من أنسه … لحظة ألمح فيها ناظريك
أينما أرمى بعينى لا أرى … فتنة السحر الذى فى مقلتيك
حائر فى الناس وحدى هائم … أتمنى همسة من شفتيك
استقيها ثم أروى ظمئى … بحديث منك أو منى اليك
لم يدر فى خاطرى أن تقبلى … وأنا لست هنا بين يديك
اسعد القلب الذى طالت به … لهفة الأشواق والوجد عليك
وأناجيك بأشعارى وما … صغتها الا لأشجو مسمعيك
خبرينى هل جرى ذكرى وهل … حام حولى خافق فى جانحيك
وهل اشتقت الى أن تسمعى … شدو قلبى وأنا جاث لديك

رفقاً بالشعر

للدكتور أحمد كمال زكي

أريد أن أقطع حديثي عن القصة العربية القديمة هذه المرة ، وليعذرني القارىء فان حديث الشعر يغري بقراءته ـ لأنه اذا كان صادقا ـ يؤدي الى مزيد من معرفة الانسان بالانسان ، وما أعظم حاجتنا الى هذه المعرفة !

أتحدث عن الشعر لا في حدوده العامة وانما في حدود قصيدة واحدة لفتتت نظري الى أمور هي في حقيقتها آفة الفن المعاصر كله ، بل في حدود قصيدتين تمثلان في رأيي أكبر خطر يمكن أن يوجه الى رسالة الشعر حتى وان كانت هذه الرسالة مجرد عملية اتاحة لأسباب المتعة بالحياة . ومع ذلك فان صاحبهما حاول في مقاله «كيف نفهم الحقائق الشعرية» الذي نشر في مجلة الرسالة بتاريخ ٢٩ من ابريل سنة ١٩٦٤ ـ أن يقوم نظرتي الى الشعر ونقده فضلا عن تلقينه اياي دروسا في النحو والتاريخ والنقد واللغة والبلاغة . وكل هذا مقابل أني « نقدت » قصيدة كان يزمع القاءها في مهرجان بغداد .

القصيدة الأولى نشرت في العدد الرابع والتسعين من الرسالة بعنوان «رب واحد وشعب واحد» والثانية نشرت في العدد السادس والتسعين من الثقافة بعنوان « نيسان » ، ولقد عجبت ، لأني أعلم أن المهيمنين على هاتين المجلتين لهم باع طويل في القريض ، فأحدهم الأستاذ أحمد حسن الزيات ناقد ذواقة وكاتب كبير ويقف الى جانبه أحد شعرائنا المطبوعين وهو عبده بدوي ، وثانيهم الأستاذ محمد فريد أبو حديد له في مجال الأدب صولات وجولات ومعه شاعر ظفر بجائزة شوقي هو عامر بحيري .

عجبت لأن المهيمنين على المجلات هؤلاء ويسمحون بنشر القصيدتين المذكورتين على ما فيهما مما لا يرضي أحدا . وكان المفروض عليهم أن ينبهوا على أن الشعر ليس نظما فحسب وليس مجرد صناعة لفظية وجرس ولكنه فكرة وتجربة انسانية لا ينتقص من جدواها قط تكرار أطرها العاطفية والمادية والأخلاقية .

وليعذرني الشاعر .. فأنا في الحقيقة أريد أن آخذه بما أخذني به في مقاله المشار اليه ، لا سيما بعد أن صدره بالسؤال الضخم : كيف نفهم الحقائق الشعرية ؟ لقد عدل عن الاجابة عنه الى ضروب من السخرية واللف والسفسطة حتى انتهى الى أن ما استحسنته من قصيدة بغداد قبيح وما استقبحته حسن .

وأجيب أنا عن السؤال الذي طرحه بقولي ان فهم الحقائق الشعرية رهن بمقدار ما تعطي ، فالشاعر بشر يتحدث الى بشر ـ كما يقرر وردزورث الذي سنحتاج اليه فيما بعد ـ وهو يستطيع أن ينقل له في حدود بشريته وباللغة المركزة الموسقة تلك « الحالة » التي أحس فيها أنه غريب عن غيره لحظة بدأ يبدع .

والاحساس بالغربة ـ على هذا النحو ـ وتحديد أبعادها بدقة ثم تصويرها هي كل ما نريده من الشاعر وهي التي تفرد له شخصية يخالف بها الآخرين ، فضلا عن أنها تربطنا به من حيث هو بشر يتكلم فنفهم عنه ونعيش في هذه الفكرة التي تبزغ وسط أبياته الراعشة بالدفء الباعثة على الدهش والتأمل .

على أنني لا أريد أن أعلم هذا الشاعر .. فهو معلم ، وأصبح يوما مفتشا عاما للغة العربية فنودي به شاعر المعلمين ، ولكن لم يبايع كل من وقع خارج دائرة اختصاصه ! والعجيب أنه بعد هذا يجرؤ فيبايع لنفسه هو ، حتى ليقول في مطلع قصيدته : « رب واحد وشعب واحد » :

الله أكبر شعب قام شاعره
يشدو فأنصت فوق الأيك طائره

كيف هذا ؟

ومن أعطى له حق أن يكون شاعر الشعب ؟

وهل لهذا كبر ؟ تلك أعجوبة من غيرشك ، ولكنها فيما يبدو ليست كذلك عند الشاعر ـ وقد نسيت أن أقول انه الأستاذ محمود غنيم ـ اللهم الا اذا أعدها من قبيل شطحات الرومانسيين الذين يظنون أنهم يصدعون بالنبوة . وفي هذه الحال فقط نغفر له ، وان تكن طريقته في «صياغة» أبياته تدل على أنه بعيد جدا عن هذه الطائفة الهائمة في وادي عبقر !

وأرجو الا يفهم من هذا اني أريد أن أقول: ان الشعر الهام ـ فهو مغرم بالأدلة الضد ـ ولكني أريد أن يفهم

أنه لاارادة وارادة معا،وخطأ أن يكون عقلافقط أوحرفة تعتمد التلفيق بأساليب المفارقات والمجاز والمطابقات ونحوها • ويبدو الشعر في هذه القصيدة التي جاء فيها بيت المبايعة الشخصية حرفة غير متقنة ومن ثم تضمنت أمشاجا من التصنع والابهام والتيه والخطأ البين •

فاما التصنع فاكثر ما ظهر في المطلع المنكود ثم في الختام الذي يوشك أن يكون معاظلة ،ففيه يقول :

سيف العروبة سيف أنت ولن
يفل سيف اله العرش شاعره

وبين البيتين ابيات أخرى من الممكن أن تراها كل عيني خبيرة • وارجو الا يسال الشاعر عن عيني أنا، لأنها ترى المجال لا يتسع الا لمثال واحد أو لمثالين •

واما الابهام فمبعثه ضعف الرؤية الشعرية حتى كأنه يتصور أن « المطلوب » وحده هو رصف الكلمات والعبارات بلا أدنى رباط منطقي •• ماذا يعني بالوحدة في قصيدته ؟ أهي وحدة الدين الاسلامي أم هي وحدة اللغة والواقع التاريخي والمصيري ؟ ثم هل يكتفي بان تكون هذه الوحدة مجرد شعارات « يشدو » بها شاعر الشعب لينصت فوق الايك طائره ؟ وعلى فرض ضرورة التسليم بهذه الشعارات ـ وهي تقريرية ـ فلماذا لم ترتفع الى أن تكون تعبيرا مباشرا عما يجول في خواطرنا ؟ ان الفيصل في القصيدة الجيدة هو أن احدا لايكاد يقرؤها حتى يحس كان هنيهات حياته التي مضت والتي تريد أن تمضي تتجمع كلها في بوتقة واحدة لتنصهر انفعالا وحرارة ، واذ ذاك نقول اننا وراء الشاعر أو معه أو داخل قلبه الكبير •

واما التيه فقد استهللنا بالاشارة اليه ، ونضيف أن الشاعر يحرص دائما على أن يلخص تجاربه في أقوال تشبه أقوال الحكماء مع أنها لا تعدو ان تكون من الخواطر العابرة ، واذكر منها :

صفوا سرائركم من كل شائبة
تصفو الحياة لمن تصفو سرائره

كما نضيف الى ذلك حديثه عن نفسه ـ في مقاله ـ وكيف اعتاد أن يقرأ ما يوجه اليه من نقد وتجريح باحدى ابتسامتين : واحدة راضية وواحدة ساخرة ، ليوحي بان آلافا كتبوا عنه ، ومن الآلاف أنا ومحرر « البلد » العراقية • وبقدر ما غبطت به أشاد المحرر الكريم ، متناسيا أن في اخواننا العراقيين من الود وأسباب المجاملة ما يمنعهم من أن يواجهوا أمثالنا بكل الحقيقة • وبالمناسبة أتناسى ـ مثله ـ فضيلة التواضع وأسوق ما قالته جريدة « الحارس » العراقية في عددها الصادر بتاريخ ٨ من تشرين أول سنة١٩٥٣ وهي تقدم نقدي لمسرحية الشاعر المرحوم عبد القادر رشيدالناصري ، وكانت بعنوان : «الفاكهة المحرمة» قالت بعنوان فرش ثلاثة عواميد كاملة :

« الفاكهة المحرمة »

« تحت مبضع ناقد مصري كبير الأستاذ أحمد كمال زكي »

ثم داخل اطار كتبت التالي :

« كان الاستاذ الشاعر عبد القادر رشيد الناصري قد وضع مسرحية شعرية سنة١٩٤٣ بعنوان«الفاكهة المحرمة » ، وقد نشرت تلك المسرحية بكاملها في مجلة « الحديث » الحلبية لصاحبها الاستاذ سامي الكيالي مؤخرا • وعندما اطلع عليها الناقد المصري المعروف الاستاذ احمد كمال زكي عضو الجمعية الأدبية ومحرر مجلة العالم العربي ، أرسل لنا هذا المقال ننشره شاكرين وراجين مواصلة الكتابة الينا » •

هذا قبل أن تكتب عن الاستاذ محمود غنيم جريدة « البلد » باثنتي عشرة سنة كاملة ، فاين كان يومذاك ؟ ثم ماذا يقول اذا أحلته الى الصحف والمجلات العراقية التي بدأت تكتب عني منذ عام ١٩٤٩ ؟ فليعد الى « الهاتف » و « فرندل » و « الأسبوع » و « الثقافة الجديدة » و « العراق اليوم » وغيرها فسيرى ما قد يروعه • ولكنه كان في نظري مجرد دعوة الى مزيد من التحصيل ، وما جعلته يوما أكثر من مجاملة صديق هناك لصديق هنا !

وأخيرا أصل الى الخطأ البين الذي تردى فيه ، وامتد الى مقاله الذي خطاني فيه والى قصيدته « نيسان » • ففي المقال يستعمل « الديونة » ـ صفحة ١٧ العمود الاول ـ مصدرا من « دان » وهي لا تعني في الأفصح والأصح الا «القضاء والحساب»كما يستعمل « فترة » ـ صفحة ١٧ العمود الثاني ـ بمعنى مدة وهي لا تدل لغويا الا على الضعف والانكسار • وفي حديث ابن مسعود أنه مرض مرضا فبكى وقال انما أبكي لأنه أصابني على حال فترة ولم يصبني على حال اجتهاد ! والعجيب انه يجرؤ فيتهم قلمي « السيال » أنا الذي أرجو أن يرتفع اليه علمه ليفيد ، كما يغض من معلوماتي التاريخية مع انني لا أقول مثله ان « الخليل بن احمد واضع علم

العروض وهو بغدادي لحما ودما » — صفحة ١٧ الموسوعة — وللفائدة أذكر أن الخليل بصري لحما ودما وعمرا أيضا ، ويستغفر في ذلك أكبر مصادره !

وفي « نيسان » أخطاء أخرى ساعود اليها بعد أن أفرغ من القصيدة التي جعل منها نفسه شاعر الشعب الاوحد — كانني هنا اذكر قاسم العراق الاوحد — انه حتى الان لا يستطيع أن يفرق بين العربي والبدوي او بين العربي والاعرابي ، ويظن وهو يقول :

شعب من البيد ظهر العيس مركبه
اطاعه الكون باديه وحاضره

ثم وهو يقول :

من علم البدوي الماء يركبه
فراح يمخر لج البحر ماخره

أن العرب في جاهليتهم كانوا لا يعرفون الا الصحراء ، ولم يسكنوا الا الخيام ، ولم يروا البحر ، ولم يشيدوا عمارة ، وجهلوا الأطم المشيدة والبساتين اليانعة · ونسى أن القرآن الكريم — وهو دائما يفزع اليه — بسط من حياة العرب المرهفة ما يفسد عليه نظريته وجعل سكان البيد في نحو قوله : « سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا » و « الأعراب أشد كفرا ونفاقا » غير سكان الحضر الذين كان فيهم حضارة ويهودية ومسيحية ، ولهم فكر ونظر وفن وعلاقات بامم ركبوا اليهم المواخر كما ركبوا الخيل والعيس · ولقد حرص المؤلفون المسلمون بعد ذلك على أن يفرقوا بين العرب سكان المدن والأعراب الذين يحملون من البادية — مستقرهم — غريب اللغة ونوادر الأخبار !

ولما كان الأستاذ محمود غنيم يكره « التعالم » في التاريخ ويحب أن يخوض في اللغة فانني أحيله الى اللسان والتاج واشتقاق ابن دريد ثم الى مجمع الميدان ليقرأ عن « توزع » قبائل العرب بين اللونين من الحياة · وسيرى على سبيل المثال أن لفظة «معد» تعني الخشونة في المعاش حتى قيل في الأمثال : « اخشوشنوا وتمعددوا » ، كما قيل « عليكم بالثياب المعدية » · ويرى الفيلولوجيون أنها تعني البدو والأعراب فقط ، حتى ان حسان بن ثابت ليجعلهم في مقابل «الأنصار» سكان يثرب اليمانيين المتحضرين على ما لحظ الدكتور جواد علي في كتابه القيم : « تاريخ العرب قبل الاسلام » · وفي الجانب الآخر نرى على سبيل المثال أيضا في « الحمس » قريشا وخزاعة وكنانة وهي تشكل قطاعا خطيرا من السكان المتمدنين الى أبعد حدود التمدن ، وبلغ من «تنظيم» عيشهم أن وضعوا لهم طقوسا دينية معينة وأساليب اجتماعية لم يكن لها من سبيل الا حيث الرفاهية الكاملة ·

و ·· أشياء كثيرة اخرى نسكت عنها، كمانسكت عن تفتيته الأمة العربية الى « شعوب » مصر والجزائر والشام (!) والعراق ، مع أنه يدعو الى « شعب » واحد ·

هكذا تبدو القصيدة متداعية البنيان — برغم سطحها البراق — مفتقدة كل قدرة على أن تثير فينا ما هو مخزون ، حتى ليصعب كثيرا أن نزعم أن الاستاذ غنيم كان بشرا يتحدث الى بشر !

فاذا تركناها الى « نيسان » فكاننا نستبدل بالجدب جدبا ، مع أن القصيدة مليئة بذكر الورد والطير والنسيم والماء والنبات والعبير ثم تحلية أخيرة بتفاح الخدود ورمان النهود ·

وتلفيق الصور هنا — من حيث هو عملية عقلية ارادية — يظهر اكثر مما ظهر في القصيدة الاولى ، بخاصة اذا قلنا ان المعاني لم تخرج عن أن الطير يصحو ويغني ، والنسيم يعربد بغصون الدوح ، والنبات يكسو الارض بسطا خضرا ، والعبير يفشي سر الزهر ، والماء يسبح فيه البط كاسطول سلم ولم تندلع منه نحو الشاطىء نيران !! وبعد ذلك نراه ينثر في أبيات ستة تبتدىء بالبيت التاسع بيتي البحتري التاليين ، وقد وردا في معرض مدح الهيثم الغنوي :

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد ان يتكلما
وقد نبه النيروز في غسق الدجى
اوائل ورد كن بالامس نوما

ولا يمكن في الحقيقة تجاهل شعر الطبيعة عند محمود غنيم ، ولكنه بلا استثناء حافل بالصور المتداولة التي تعجز عن تخطي السطح الخارجي ، ولا سيما اذا وصف الريف · ويمكن أن نقارن بينه وبين الشاعر محمود حسن اسماعيل في ذلك لنرى كيف لا تستطيع الكليشهات التقليدية عنده ومثلها « عرس الربيع » و « موكب الشمس » و « تغريد الطيور » أن تكون أكثر من صناعة لغوية تنقصها الملكة الشعرية — لا النظمية — التي تجعلها حية ·

وشعراء الطبيعة فى العالم لا تنقصهم هذه الملكة قط ، ولكن أغلب شعرائنا عاطلون منها لانهم يوجهونها دائما اما الى ايهامنا بصريا عن طريق الألوان الحسية التى ترتبط آليا بافراح الربيع واما الى تصديع رءوسنا بالحديث عن الولائم الريفية المأثورة فى التاريخ .

وليعذرنى الشاعر محمود غنيم لأننى أبحث فى « نيسان » عما يريد أن يقول ، ما هو ؟ وعلام يدل؟ هل فيه لمسة من لمسات الانسان الذى يحس بعمق الحياة وتكتفها فى دنيا الطبيعة بالعبقرية القادرة على أن توحد تماما بين شخوص هذه الدنيا وعقله هو واحساسه هو وعاطفته هو ؟

أيريد أن يعرف لماذا خلد وردزورث شاعر الطبيعة الطبيعة الذى أشرنا اليه قبل ؟

أنا لا أريد أن أعقد مقارنة بينهما ... اعتذر لوردزورث ، ولكنى أقدمه نموذجا معروفا على الرغم من ترديه أحيانا فيما يتردى هو فيه أقدمه لأنه واحد من الذين يوحدون بين ذواتهم وقوى الطبيعة . أقدمه لأنه يتوغل فى معالم الطبيعة .. أقدمه لأنه من حيث هو رومانسى رائد — يمزج تجربته الشخصية بالجبل والنهر والريح والسحاب كاشفا عن خبايا نفسه دون أن يظل الصخر مثلا عنده صخرا أو قد يحس فيه حياة مع أنه صفوان :

الصخر يبدو لعينى فيك منتشيا
احس فيه حياة وهو صفوان

ان هذا البيت يكشف عن منهج الشاعر غنيم فى أحسن حالاته ، ولكن يقابلنا من جانب آخر أى بيت من تقريراته التى تشبه مأثور الكلم كان يقول :

وللربيع خمور لا كروم لها
ولا كئوس ولا دان ولا حان

البيت قديم كما نرى فاذا تركناه وتركنا كل شىء الى أخطائه التى وعدنا بالاشارة اليها وصلنا الى ما سيكره من علم الجغرافيا مع أن معرفة شعراء الطبيعة به واجبة ، فهو يقول :

قالوا الربيع فقلت العدل طابعه
لا فى النهار ولا فى الليل طغيان
تعادل الليل فيه والنهار معا
كأنما هو للأيام ميزان

وهذه فكرة — وقد ظنها طريفة — لا يمكن أن تكون صحيحة لسبب علمى هو أن الربيع لا يعتدل فيه النهار والليل مطلقا ، بل لا يعتدل هذان فى كفتى ميزان الا فى يومين اثنين يوافقان ٢١ من مارس ، ٢٣ من سبتمبر ويسميان بالاعتدالين الربيعى والخريفى ، والسبب ميل الأرض على مستوى فلكها بزاوية قدرها ٢٣٫٥ درجة تقريبا ، وهذا الميل يجعل أشعة الشمس عمودية على خط الاستواء فى اليومين المذكورين فقط ومن ثم يتساوى طول الليل والنهار . ومعنى هذا أن ما قاله فى الربيع — اذا صح — يجب أن يقال أيضا عن الخريف وهذا كما أظن لا يرضيه من حيث هو شاعر يريد أن يغنى بنيسان لاعنا الخريف الذى يخيفه ويفقده الكثير مما يحب أن يمتلك !

ويقترب من الجغرافيا علم يعنى بحيوان الأرض ويقرر بصراحة أن العصافير لا تغرد بمعنى تطرب ولكنها تسقسق كما يعندل العندليب ويسجع القمرى ويهدل الحمام وهكذا ، غير أنه برغم ذلك يقول :

كل الطيور عصافير مغردة
فيه وكل مكان فيه نيسان

وربما كان يصح كلامه لو أنه قال « كل العصافير طيور مغردة » على أساس استغراق النوع فى الجنس، ولكنه فيما يبدو لا تعنيه صحة الفكرة بقدر صحة الوزن . ومسألة التغريد على هذا النحو تذكرنا ببيته الذى يقول فيه :

ليست معازفه رقا ولا قصبا
لكن معازفه طير وأفنان

وقد اصطلح فنيا — برغم نص بعض المعاجم على غيره — على أن الأوتار فى العود والقيثارة والطنبور هى ما يعزف عليه فقط ، فى حين ينقر على الرق وينفخ فى القصب . وبالمناسبة نقول ان سجع القمرى يسمى عزفا ، وحفيف الريح يسمى عزفا ، وقريب من ذلك عزيف القوس اذا صوتت وعزيف الجن الذى ذكره شوقى فى وصف الطائرة ، وثمة العزف — بضم العين — وهو ضرب من الطيور البرية المغردة .

ويسألنى الاستاذ محمود غنيم : هل ينقص هذا من حيوية القصيدة ؟ فأجيب أنا لا أفهم الحيوية الا فى جو صحى وفى بناء سليم ، ولهذا فان قصيدته من وجهة نظرى تحتاج الى علاج ، وفى يده هو الدواء ، او يمكن أن يستفتى فيه طبيبا غيره .

وبعد .. فتلك نظرات وجهنى اليها مقاله « كيف نفهم الحقائق الشعرية » واعد القارىء أنى سأزيد الاجابة وضوحا عندما اقدم له نقدا لمسرحية شعرية قدمها هو ذات يوم بعنوان « النصر لمصر » .

« د . احمد كمال زكى »

وليشهد الله ..!

للشاعرة الدكتورة : عاتكة الخزرجي

يحمل البرق سلاما لنا .. لله ما اكرمه عندنا .. !
يدعو لنا الله لكل المنى .. وانه السؤل وكل المنى .. !
يفى على غدر فاذكى الجوى .. واوشك المستور ان يعلنا
يهاج من ادوائنا كامنا .. يقضى عليها الوجد ان تكمنا
فكادت الفرحة تودى بنا .. ياليتها اودت .. وياليتنا .. !
اقسمت بالحب باحكامه .. باللهفة الحيرى .. بفرط الضنى
وليشهد الله بانى على .. عهد الهوى ابقى وانى انا ..

د . عاتكة الخزرجي

قال الصغير ..

للشاعر : محمد مصطفى المليجي

قال الصغير واين امى يا ابى _ ؟
اتعود بعد غيابها اتعود بعد المغرب ؟

وجرى الصغير وراح يفتح بابه
ويقول امى فى الظلام فلا ترد جوابه

فهرعت من فورى وجئت بلعبته
فابى وامعن فى البكاء وحدته

واتيت بالحلوى وماء السكر
فابى ولم يشرب وانكر مظهرى

وظللت اضحكه وسرت على يدى
اركبته ظهرى فلم يقبل على

ورايته قد ثار محتجا يقول اريدها
فانا احبك يا ابى وانا كذاك احبها

ورايته قد نام لكن قد سمعت تنهده
والحزن اقلق باله واراه حقا اجهده

وبكى واسلم نفسه للحزن والالم الدفين
ورايته فى حسرة قد راح فى نوم حزين

قد قمت اسرع للفراش ونمت فى لهف بقربه
فصحا وفتح عينه ورايت دمعات بهدبه

فى الليل نادى يا ابى وجرى واسرع فى لهف
ففتحت بابى مسرعا والام تنظر فى شغف

ورايته قد راح يلثمها يقول حبيبتى
فتقول عذرا يابنى فانت كل سعادتى

ورايته قد عاد عصفورا وغنى منشدا
ورايته فى فرحة بعد السكوت مغردا

راحت تداعبه فاطلق ضحكته
وشدا وغنى بعد حزن غنوته

أمريكي في رحاب الحمراء

للدكتور: الطاهر احمد مكي

« اعطه صدقة يا سيدتي ... فليس في الحياة قسوة تعدل أن يصبح المرء أعمى في غرناطة »

ف . ا . دلكاثا



ارفنج وشنتجتون صاحب كتاب حكايات الحمراء

- ١ -

رأى الحياة لأول مرة في مدينة نيويورك ، في الثالث من شهر ابريل عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة والف ، طفل عليل نحيل ، من أب اسكتلندى وأم انجليزية ، اسمه وشنجتن ارفنج ، ولم تكن المدينة يومها ، كما هي الآن ، زاحمة بالسكان ، زاخرة بالنواطح ، مادية الطابع ، آلية الحياة ، الدولار فيها أكثر الآلهة أتباعا ، انما كانت مجرد مدينة متواضعة لا يزيد أهلوها على ثلاثة وعشرين ألف ساكن ، تدعى « **امستردام الجديدة** » ، اشتراها المستعمرون الهولنديون من الهنود الحمر بأربعة وعشرين جنيها ، ثم بدأ فقراؤهم يتوافدون عليها واحدا اثر آخر ، يقيمون فيها متاجر صغيرة لبيع الأقمشة الزاهية المخططة ، وجلود الدببة البيضاء الناصعة ، وتلا هؤلاء مهاجرون آخر ، أرسلت بهم شركة « الهند الشرقية الهولاندية » الى هناك ، من طبقة أوفر ثراء وأكثر ثقافة ، لرفع مستوى الحياة وتحبيب المهاجرين في البقاء ، وقد نقل هؤلاء الهولنديون ، فقراء وأغنياء ، كثيرا من أساطيرهم وتقاليدهم ونماذج حياتهم ، فثمة طواحين هواء كسولة ، وشوارع ضيقة متعرجة ، وبيوت معتمة اللون ، عتيقة المعمار ، وسكان يعملون في هدوء ، ويتثاءبون حياتهم في تراخ ، فاذا غربت الشمس وجن عليهم الليل ، تجمع عجائزهم وشيوخهم على عتبات البيوت ، يدخنون ويتأملون ، يتحاكون تاريخ أوائلهم ، ويتقاصون ذكريات أمسهم ، ويتندرون بأساطير اسلافهم ، وما فيها من خرافات وغرائب وخيال ومعجزات ، وقد ظل هؤلاء الهولنديون يكونون أغلبية السكان حتى مطلع هذا القرن على الرغم من احتلال الانجليز للمدينة زمنا ، ومجيء مهاجرين جدد من جهات أوربية شتيتة ، ومن ثم فان التقاليد الهولندية ظلت سائدة ، وفرضت نفسها على تقاليد الآخرين !

كانت أسرة وشنجتن قد هاجرت الى نيويورك قبل مولده ببضع وعشرين عاما ، مع ذخيرة متواضعة من المال ، وحصيلة وافرة من البنين ، فقد كان اخوته احد عشر ولدا ، ولكي يعيشوا كان عليهم أن يعملوا كثيرا وجميعا ، وفي ظروف كهذه يكون ما تستطيع الأسرة أن تقدمه لأولادها من تربية غالبا بالضرورة محدودا ، لكن الطفل وشنجتن أحس مبكرا برغبة نهمة للقراءة ، وكانت مؤلفات تشوسر وسبنسر واديسون في مكتبته ، فاستوعبها على نحو يمكن القول معه أنه حفظها ، وكان مغرما بالرحلات وحيدا ، يتجول فيما حول المدينة ، ويتغذى بحكايات الأمهات وأساطير الجدات ، يقبل عليها ويهتم بها أكثر من حرصه على دراسة الحقوق ، وكان قد انتسب الى مدرسة لها .

وعندما بلغ العشرين من عمره كانت حالته الصحية دقيقة وتدعو الى القلق ، فاهتم اخوته بأمره ، وارسلوه الى جنوب أوربا عام ١٨٠٤ لكي يشفى مما به من علة ، فبقى هناك قرابة عامين زار فيهما ايطاليا وهولندا والجلترا وفرنسا ، حيث درس الفن في باريس.وقد ذهبت علاته الجسمية بالراحة والعناية وتغير الأجواء والتصر على ضعفه النفسي وتردده بالسفر والتنقلة ولقاء الناس ، فلما عاد الى وطنه عام ١٨٠٦ كان قد استرد عافيته وتسلى من دائه ، فتابع دراسة الحقوق بعد أن انصرف عنها ، لكن الأدب كان يبدو أكثر جاذبية له من القانون ، وتعاونت اسباب ثلاثة على قناعه بأنه خلق للكتابة وحدها : بدن عليل ، واحساس بالمرارة عميق ، وفشله في حبه ، فقد توفيت خطيبته وهي في ريعان شبابها ، ابنة تسعة عشر ربيعها !

ولكي يرضى رغبته أصدر بالتعاون مع أخيـــه « جيلرمو » وصديقه جاكوب ك . بولدينج صحيفة شهرية ، غايتها تربيـــة الشبان ، وتهذيب الكبار ، واصلاح المدينة ، وتتخذ لها سلاحا من الفكاهة المرحة والسخرية اللاذعة والمقال الناقد ، فالتف حوله جماعة من الشباب يدينون برأيه ويسلكون منحاه ، وفيها بدا يكتب عن مدينته نيويورك ، فلم ينج من سلاطة قلمه أحد ، ولم يتهيب الحديث عن أية لقيضة ، وصنعها أسطورة في شـــكل تاريخ ، وأجرى أحداثها على لسان فارس هولندى قديم ، اسمه « **ديدريش كنكربوكر** » ، كان موضـــع احتقـــار صحف عصره وازدرائها ، ومن حكاياته كانت تتخذ المثل والشواهد ، لكن رفاقه في الرحلة تعبوا بعد عشرين عددا من الصحيفة ، فانفضوا عنه ووقف هو اصدارها .

لكنه لم يتوقف عن كتابة « **تاريخ نيويورك** » ونشره كتـــابا كاملا في مدينة فلادلفيا ، فلاقى تقديرا واقبالا ، الا أن حريتـــه في النقد ، وبراعته في تصوير النقائص ، أثارت عليـــه حفيظة شركائه في الوطن ، ممن لا يحبون الحديث عن اسمهم المتواضع وهفواتهم الانسانية ، أمام الآخرين ، فلما أعاد طبعه في انجلترا رحب به الشاعر الانجليزى توماس كامبل (١٧٧٧ ـ ١٨٤٤) ، والقصاص المشهور والتر سكوت (١٧٧١ ـ ١٨٣٢) ، وعد واحدا من الكتب الطيبة التي اقرت الأدب العالمي ، وكانت قوته تتمثل في سخريته ، وروعة الحوار ، ودقة تصوير الأحداث ، مما يوحي بانها وقعت فعلا ، حتى أن ناشرا ألمانيا كبيرا ، يدعى جوللر ، ذكرها في معجمه على أنها تاريخ حقيقي .

لم يكن وشنجتن يعتبر « تاريخ نيويورك » بداية عمل أدبي له ، انما ، والتعبير له شخصيا ، مجرد لعبة روحية ، وقد توقف بعد اصدار كتابه هذا طويلا ، أعواما تبلغ التسعة ، لم ينتج فيها شيئا ، أو أنتج شيئا قليلا للغاية لايدخل في الحسبان ، لانه لم يكن رضى المزاج ، وكان على خلاف شعورى مع ما حوله ومن حوله فقرر الرحيل الى أوربا بحثا عن عالم مختلف ورؤى جـــديدة ، وواتته الفرصة حين استقر السلام في وطنه بانتهاء الحرب الثانية والاخيرة بين الولايات المتحدة وانجلترا ، وتوقيع السلام النهائي، متهيئا فرصة مشاكل مالية عرضت لمؤسسة تجارية كان يملكهـا اخوته ، والحاجة الى حلها في لندن ، فغادر نيويورك وفي ذهنه أن يبقى بعيدا عنها شهورا ، لكن غيبته استمرت ستة عشر عاما متتالية ، ذهب أولا الى انجلترا واليها سبقته شهرة فياضـــة ، فرحبت به محافلها الادبية . زار « كامبل » في « سيدنهام » وحل ضيفا على الناقد الاسكتلندي « جفرى » ، وقضى أياما في ضيعة « والتر سكوت » ، وأعجب بلندن ، فقد كانت ملء أحلامه طفلا ، ويقول عن نفسه « ولدت وتربيت في بلد ناشيء ، لكني تكونت ، منذ كنت صبيا ، في أدب أمة عريقة ، وارتبطت روحي مبكرا مع ذكرياتها التاريخية ، ومع الشعراء الذين شاركوا في هذه الأحداث ، وعاشوا في هذه الأمكنة ، ووصفوا عادات أوربا وتقاليدها ، وليس ثمة شيء من هذا يمكن أن ينسب الى وطني ، الا في حالات نادرة » . أعجب في انجلترا بالاســـاطير الجذابة الخطرة ، وبالحياة الريفية الوادعة ، وبقلاع الســادة المحصنة ، وبالفرح والانطلاق يغمران كل الناس في حفلات وأعياد الميلاد .

وصل الى لندن في سن فتية ، ليس له من العمر غير ســـتة وثلاثين عاما ، وبلا موارد ، فقد أفلس اخوته ، وفقد هو ثروته المستثمرة في مناجم بوليفيا ، فلم يبق أمامه غير العمل ليعيش، فحمل قلمه وشمر عن ساعده ، يؤلف في انجلترا ، وينشر في الولايات المتحدة أو لندن أو باريس ، وبين عامى ١٨١٩ و ١٨٢٠ نشر كتاب « مسودات » في نيويورك ، واشترت منه دار « مورای » للنشر في فرنسا عام ١٨٢٤ كتابه « حكايات رحالة » بمبلغ ألف وخمســـمائة جنيه استرليني ، وهو ثمن طيب بالنســـبة لعصره ولو أن هذا الكتاب أدنى مؤلفاته ، أهمية وفكرة واسلوبا ، وكان مثار نقد عنيف في العالمين القديم والجديد ، ربما لأنه لم يكن استجابة حقة لالحاح شعورى ، بقدر ما كان محاولة لربح مادى .

لكن مفاجأة كانت تنتظره لم تدر بخاطره يوما ، ولم يفكر فيها لحظة ، ولو لم تعرض له لظل على الرغم من كل ما ألف وكتب أديبا محليا ، يهتم به الناطقون بلغته ، وأبناء وطنه ، ومؤرخو الحياة العقلية فيه ، دون أن يتخطى حدوده الاقليمية الى آفاق رحيبة ، لا تقف دون اجتيازه اليها عوائق اللغة أو الذوق أو الجنس ، ففي عام ١٨٢٦ كان « الكسندر هـ . افريت » يفـــاوض اسبانيا كي تعترف بحكومة بلاده ، بعد انتصارها في الحرب مع انجلترا ، وحصولها على الاستقلال ، فلما نجح في مسعاه ، عين أول وزير مفوض للولايات المتحدة في مدريد ، فكتب في الحال الى صديقه وشنطن يحثه على المجيء الى اسبانيا ليعمـــل معه في السفارة شكلا ، وليقوم في الواقع بترجمة كتاب « رحـــلات كولومبس » ، التي ألفها الاديب الاسباني راموند دى نفريت ، ويجرى طبعها في مدريد ، وكان الدبلوماسي الامريكي قد سمع ثناء عليها ، فاعجب بموضوعها وتاق الى نقله للغته الوطنية ، ونشره في مسقط رأسه .

وجاء وشنطن الى اسبانيا ، وفيها وجد جديدا بدأ به وبمعه رحلة أخرى .

- ٢ -

جاء وشنجتن الى اسبانيا عام ١٨٢٦ ، فوجدها دولة متأخرة ، تحكمها ارستقراطية جاهلة ، وتسيطر على مصائر الأمور فيهـــا رهبانية متعصبة ، ويتغشاها ظلام دامس من كل جوانبها ، حتى كره الناس الحياة فهم لا يعملون ، فاذا أجبروا هربوا ، واذا عوقبوا خنعوا ، ولم تكن هناك عدالة ولا احساس بها ، والاعدام هو الأداة الوحيدة التي تنتظر المخالفين في الرأي ، وكانت السجون مكتظة ، والمحاكم أعلة ، والمجالس العسكرية تباشر عملها بلا قانون يحقق وجودها ، ولا تقاليد تحدد رسالتها ، وطبقة مبغضة من رجال الدين الهها المطران « أوسسا » أو « ملاك الابادة » كما كانت العامة تسميه ، عمت كل اسبانيا ، ومهمتها ملاحقة الاحرار وابادتهم ، وكانت الجاسوسية تحكم الدولة ، يراقبون نظرات الناس وحركاتهم وقراءاتهم وحتى نبضـــات قلوبهم ، والكتب الأجنبية ممنوعة كلية ، الى جانب الكتب الوطنية التي تعـــالج موضوعات متحررة ، أو تدرس العصر العربي في موضوعية ، أو تنظر اليه بعطف ، واقيمت رقابة صـــارمة على كل ما يطبع من صحف أو كتب ، أو يمثل في المسارح من روايات ، وكان رجال الفكر المتحررون ـ يوما ما ـ اما في السجن أو المنفى ، وبدا رجال الدين يطالبون بعودة محاكم التفتيش رسميا ، وقد اقيمت يوما لاستئصال شأفة المسلمين بعد انتصار المسيحيين ، وظلت تباشر عملها منذ أن اقر مجمع « فيرونا » المسكوني عملها عام ١١٨٣ الى أن الغيت في اسبانيا نهائيا عام ١٨٢٠ (قبل قدوم وشنجتن الى اسبانيا بسنوات خمس) ، ولو أنها ظلت قائمة على الصعيد العملي حتى مطلع القرن العشرين .

كانت الطرق مليئة باللصوص ، والمدن مثلا في القذارة ، وبلغ اضطراب الأمن الشخصي والجماعي حدا لم يعد معه أحد آمنا على نفسه أو ماله ، وبدا الناس جميعا يترحمون على أيام نضرة ، وحضارة نضرة ، طابعها الرخاء والتسامح ، وعمادها العلم والثقافة ، وغايتها السعادة وتكريم الانسان ، أضاءت جنبات الجزيرة يوما على أيام العرب المجيدة .

وأيا ما كان الأمر ، فقد وجد وشنطن اسبانيا دولة تتكون من دول ، قشتالية اللغة ، كاثوليكية الدين ، لكنها عربية السحنة ، اسلامية التقاليد ، شرقية التراث ، تتناثر الألفاظ العربية ، صحيحة أو محرفة ، من افواه فلاحيها وطبقاتها الدنيا ، وتملأ أســـاطير العرب عقول الناس ووجدانهم ، وتجرى حكايات ملوكها وترفهم على كل لسان ، لم تكن المدرسة قد انتشرت لتفرض على الاطفال نسيان الألفاظ العربية واحلال بديل لها من أصل لاتيني ، ولم تكن هناك مواصلات ميسرة ، ولا صحف منشورة ، ولا اذاعات مبثوثة ، تعين على تسهيل عملية « **المحو** » الثقافي ، كما حدث في هذا القرن ، بعد أن نجح التعصب في استئصال التراث المادي ، باخراج المسلمين أو تقديمهم قوافل الى مقاصل الاعدام ، وكان وشنجتن حر الفكر ، انساني الوجدان ، مفتوح القلب ، فاورد لنا بعضا من تقاليد العرب الباقية ، لا نجدها في كتاب آخر ينتمي الى هذا القرن (لاحظ أن ذلك كان في القرن الماضي ، أو على وجه التحديد منذ مائة عام) ، ولم يقعد به مرض في النفس أو غل في القلب عن نسبة الفضل الى ذويه .

يقول وهو يتحدث عن نظام السفر ، في كتـــاب « حكايات الحمراء » : « **ان مخاطر الطرق حملتهم على السفر في نظـــام يشبه الى حد ما نظام القوافل في الشرق ، فالحمالون يجتمعون في قوافل ، ويسافرون في ايام معلومة ، في صفوف طويلة كاملة العدة من السلاح ، ثم ينضم اليهم المسافرون الذين يزيدونهم عددا الى عدد ، وقوة الى قوة** » .

« **والمكارى الاسباني عنده ذخيرة لا تنفد من الاغاني والقصص الشعرية يسرى بها عن نفسه في سفره المتصل ، في نغمة بدائية سهلة ، تتكون من مقاطع قليلة ، رافعا بها عقيرته في قوة ، مادا صوته ، مقطعا نغماته ، على حين قد جلس جانبا من ظهر بغلته ، التي تبدو كأنها تنصت اليـــه ، موفقة بين خطوها والنغم ، والمقطوعات التي يغنيها هي في كثير من الاحيان غراميات متواترة عن عرب اسبانيا ، او شيء من اساطير القديسين ، او بعض من اناشيد الحب ، وكثيرا ما يرتجل المكارى اغنية على البديهة يصف فيها مشهدا يقع عليه ، او حادثا من حوادث الرحلة ، وله ولع جنوني بالاغاني الشعرية يستمع اليها بين مناظر الوحشة والوحدة ، مصحوبة احيانا بجلجلة اجراس البغال ، وهذه القدرة على الغناء والارتجال شيء شائع بين الاسبان ، ويقال انها موروثة عن عرب اسبانيا** » (١) .

موروثة حقا وليس ذلك مجرد استنتاج ، ولو محوت كلمة البغل واستبدلت بها الجمل ، وحذفت لفظة اسباني وأحللت مكانهـــا كلمة عربي ، لما تصورتها الا قافلة تقطع فيافي الجزيرة العربية في القرن الخامس الميلادي أو ما تلاه من قرون ، بنفس الطابع والحياة والتقاليد ، واذا كان ركض البغال في اسبانيا موجـــدا لنوع معين من الشعر الاسباني ، فقد كان وقع الجمل في الجزيرة العربية مصدر نشأة الشعر العربي باكمله .

وجد وشنجتن نفسه بازاء عالم جديد ، لم ير له مثيلا فيما زار من اوربا ، وقبل أن يحدد طريقه بدأ يتأمل ما حوله ويدقق النظر فيه ، يتفهمه ويتمثله ويتجاوب معه ، وصنع كل ذلك في

---

(١) ما بين الأقواس منقول ، بتصرف بعض الشيء ، عن الترجمة العربية لحكايات الحمراء ، وقد قام بها الاستاذ ابراهيم الابيارى ونشرتها دار المعارف بعنوان « قصص الحمراء » عام ١٩٥٥ .

هدوء وعلى روية ، فانتهى به المطاف الى شيء آخر ، غير ما أراد لنفسه أولا ، وغير ما فكر فيه صديقه الوزير .

وكانت مهمته الرسمية أن يعمل ملحقا في سفارة الولايات المتحدة في مدريد ، أما واقعا فكان يراد منه أن يضطلع بترجمة « رحلات كولومبوس » ، ولقد بدأ فيها فعلا ، لكنه ما كاد يرى الوثائق التي تزدحم بها دور المخطوطات الاسبانية ويقارن بينها وبين ما في الكتاب، حتى أدرك أن الكتاب ترجم تحت رعب محاكم التفتيش المصلت ، وفي جو يفتقد حرية الفكر تماما ، فعزف عن الترجمة ، وبدأ في كتابة سيرة الرحالة الاسباني ـ أو الايطالي ـ من جديد ، في موضوعية علمية ، وعلى نحو أكثر حيادا ودقة ، وفي أسلوب أكثر طلاوة ورقة ، واقتضته ضرورة البحث أن يزور دور المخطوطات في الاسكوريال ، وأن يرحل الى اشبيلية « حيث ترقد كل الوثائق الخاصة بحياة كولومبوس وباكتشاف امريكا ، في دار مخطوطات « جزر الهند الغربية » .

جاءت رحلته الى الأندلس ـ ويطلق الاسم الآن على مقاطعة تضم اشبيلية وقرطبة وغرناطة ـ في الربيع ، أجمل فصول العام في شبه الجزيرة ، وفي عصر لم تكن القطر البخارية قد اخترعت بعد ، وذهب في رفقة زميل ودليل وسائس كان يحكي لهم عبر الطريق مئات من الحكايات الجميلة عن اللصوص وقطاع الطرق، وفلول العرب اللائذين بقمم الجبال ، يثيرون السخط ، وينشرون الفوضى ، وعن الحروب الماضية والبطولات الخارقة ، وكرامات القديسين . كانوا يقطعون الرحلة في بطء ، يتحسسون روح الارض التي يعبرونها ، ويرتشفون روعة الطبيعة التي تحدق فيهم ، ويتوقفون في القرى والضياع للتخفف من تعب السير ووعثاء الطريق ، يتحدثون الى كل من يلقون من عابري السبيل: متسولا يستجدي ، أو متبطلا يطلب عملا ، أو فلاحا في الطريق الى حقله أو عائدا منه ، أو تاجرا ذاهبا الى سوق الضيعة ، أو نبيلا يمتطي صهوة جواد أصيل ، وتحف به حاشية عديدة ، فاذا حان وقت الغداء افترشوا الارض على عباءة أو ملاءة ، واستظلوا بأشجار الزيتون ، يأكلون سويا ويتقاسمون الزاد عدلا ، وشيئا فشيئا بدأت تتكشف له معالم الحضارة العربية ، ممثلة في بقايا القلاع والحصون ، والمدن ، وهندسة تخطيطها واختيار مواقعها ، والزراعة وطرائق غرسها وارواؤها وجمع محاصيلها، وعندما وصل الى اشبيلية وجد نفسه وسط عالم زاخر ثري بالتاريخ والمجد ، وتبدت له عظمة الحضارة العربية في الوثائق وفي حياة الناس بصورة لم تتضح له في أي كتاب قرأه من قبل . عاش بعقله وقلبه وأعصابه مع العرب المطرودين بعد اقامة امتدت ثمانية قرون أو تزيد ، وجرى بين يديه عدد من الوثائق التي تتصل بمحاكم التفتيش ، فأثارت اشمئزازه وحنقه، وعرف العرب في تراجم مدوناتهم وكتبهم على حقيقتهم ، فرسانا نبلاء ، لا يذكرهم من جاء بعدهم الا عبر الأساطير والحكايات ، لحظتها قرر أن يكتب سلسلة من الكتب تهدف الى اجلاء حقيقة هذه الحضارة السامقة ، وتعريف مواطنيه بانجازاتها وأصحابها ، وكانت مجهولة لهم تماما .

عرف مثلا أن اشبيلية كان بها على أيام العرب مائة ألف معصرة لاستخراج زيت الزيتون ، وأن هذا الرقم الهائل من المصانع ، كان في كورة واحدة يفوق المعاصر التي توجد في اسبانيا كلها على أيامه ، ودرس موقع مسجد اشبيلية الجامع وتاريخه ، وأسف من قلبه للتعصب الاحمق الذي أطار صواب رجال الدين الكاثوليك فجعلهم يهدمون واحدا من أعظم مساجد اسبانيا ، على الرغم من أنهم حولوه الى كنيسة غداة انتصارهم عليها عام ١٢٤٨ م بزمن قليل ، وكان يطيب له أن يقف طويلا في هجعة الليل ، ملفوفا في ضوء القمر ، وحيدا الا من نفسه ، يتأمل مئذنة المسجد الباقية « **الخيرالدا** » يغوص الى ما وراء هيكلها المادي ، يتأمل فيها التاريخ والفن وزهوة الانتصار . بل ! ... ان المئذنة الخالدة بروعة معمارها ، استطاعت وحيدة بلا مؤذن ولا داعية ولا مصلين ، أن تنتصر على طوفان التدمير الزاحف ، يمحو كل ما هو عربي ، وأن تبقى وتخلد ، وتظل حتى أيامنا هذه شاهدا حيا بليغا على حضارة كان أبرز سماتها البناء والتعمير !

ورائعة « **قصر** » اشبيلية ، وقد بني بعد اجلاء العرب عن المدينة ، على انقاض قصر كان للمعتمد بن عباد ، ولو أن مساحته الآن نصف ما كانت عليه أيام الملك العربي ، وقد جدده الملوك الاسبان أكثر من مرة بأيدي مهرة من صناع العرب وأشرافهم المطرودين ، وآخر تجديد شامل له تم على يد فيليب الرابع عام ١٦٢٤ ، وتمت عملية التجديد بأيدي مهندسين من العرب أيضا ، من البقية المتخلفة من الطرد النهائي لهم ، الذي تم في عهد سلفه فيليب الثالث ، وربما استثنوا من قرار الطرد ، كبقية أخرى من كبار المهندسين والفنيين ، ليقوموا بهذا العمل قصدا . ومن الواضح في القصر أن هؤلاء الصناع العرب ، على الرغم من أنهم أكرهوا هم ، أو آباؤهم ، على اعتناق الكاثوليكية كانوا استجابة لدوافع نفسية يجملون كل زخارفه بآيات قرآنية وأبيات من الشعر العربي ، على التأكيد نقلوها دون ادراك لمعناها أو فهم ، وان كانوا يستطيعون قراءاتها ، فقد ظل هؤلاء العرب يكتبون الاسبانية اللغة التي فرضت عليهم فرضا بحروف عربية حتى الى ما بعد تجديد القصر كأنهم يتحدون المتنصرين ، ويسخرون من جهالتهم . وقد عرف وشعر أن هذا القصر ليس الا تقليدا غير دقيق لقصور الحمراء في غرناطة ، فهاجه الشوق لرؤيتها ، وشد رحاله اليها ، وفيها كانت له جولات وصداقات ، والتاج به دخل التاريخ من أوسع الابواب .

للمقال بقية :. **« د . الطاهر احمد مكي »**

الى الزوجة الحزينة

للشاعرة : روحية القليني

مندور هل ودعتها قبل السفر ... وهل استعدت للفجيعة والقدر
هل قلت يا ملك العزيزة كفكفي ... دمع الشجون فلا سبيل الى الحذر
انا راحل فاطوى جناحي رقة ... حول الصغار وكفكفي تلك الدرر
ملك العزيزة هدهديهم كلما ... ذكروا آباهم في المساء وفي السحر
قد كنت عونهمو وكنت رجاءهم ... لكنني لبيت اكرم من امر
انا قد تركت لهم حديثا لم يزل ... يسرى بسمع الكتب كالدر انتثر
وانا الأديب وما يورث عالم ... أبناءه بعد الممات سوى الذكر
فهمو وكتبى ذكريات حلوة ... عودى اليها كلما الدمع انهمر
وتحركت اشجان شوقك للذى ... فضلت صحبته على كل البشر
وترفقي بقلوبهم وتجلدى ... واسقى بعطفك بعد فرقتنا الزهر
فهمو براعم لم تزل اغصانها ... في حاجة للرى من عطف المطر
انا قد تركتك للحياة مريرة ... فتحملى عنى بقيات العمر
قد عشت بين محابرى لرسالة ... سيرى على نهجى على طيب الأثر
وقضيت ايامى اصوغ مشاعرى ... ونذرت عمرى للكفاح كمن نذر
ذوبت اعصابى فكانت قصة ... تحكى النضال المر في وادى الفكر
قد كنت لى نعم الشريكة دائما ... املى عليك رسالة فيها العبر
فتسجلين مشاعرى بامانة ... ورعيت أولادا لنا منذ الصغر
ورضيت عنك وعن رباك ولم اقل ... أنا ذاهب يا ملك في طى الحفر
اذ كيف انطق قبل موتى كلمة ... أدرى صداها والعذاب لمن شعر
قولى لليل في الزفاف باننى ... قد كنت أرجو أن أجامل من حضر
وارى الذين أتوا لها في عرسها ... والفرحة البيضاء يبديها النظر
وتقول يا أبت الحبيب وانت لى ... نعم الصديق على الطفولة والكبر
فارد ذا قدرى ومالى حيلة ... غير الدعاء لها يجنبها الضرر
وسيفخر الأبناء بعدى أننى ... قدمت في دنياى أمجاد الصور
وسيذكرون اباهمو في محفل ... لو أن بالآباء غيرهمو افتخر
ان الحياة رسالة قدسية ... قدمتها والناس في الدنيا سير

« روحية القليني »

آخر فنجان قهوة مع الدكتور مندور

بقلم: الحساني حسن عبد الله

وديع وقوي

يعرف الكثير ، ويجيد ما يعرف ، ويحسن التعبير عما يعرف في يسر واقتدار حتى لتحسب انه يقول هينا من القول ليس وراءه عناء . تراه فترى بقية من عنفوان الجيل العملاق الذى استقبل الشباب فى مطلع القرن وشاد للعربية صرحا فى أدبها الحديث جديرا بان يبقى كما بقيت صروح الادب القديم . لم يكن من أبناء ذلك الجيل ولكنه تتلمذ على أبنائه فبقى فى ملامحه وفى خلقه وفى كتابته أثر من صلابتهم وتواضعهم وعلمهم .

قرأت له أول ما قرأت ميزانه الجديد منذ زمن ليس بالقريب وما زلت أذكر أني وقفت طويلا عند شرحه وظيفة النقد حينذاك بأنها قدرة الذوق على اثارة المشكلة فى النص الادبى ، فقد رأيت فى هذا الشرح الوظيفة الاولى للنقد وجوهره الباقى مهما تعددت أزياؤه وأساليبه .

والحق أنه لا نقد ولا ناقد بغير القدرة على استجواب النص . والذى يمسك بالقلم فى بواكير حياته الادبية مفتقرا الى هذه القدرة لن ينجح ناقدا وان استطاع ان يشق له طريقا فى دنيا القلم . وقد بدأ الدكتور مندور حياته الادبية مزودا بذوق مصقول ترفده جداول من أدب العرب القديم والادب الاوربى قديمه وحديثه . ولازمته تلك القدرة فى مختلف مراحل حياته منذ أمسك بالقلم حتى انتزعه القدر من بين أنامله . ينم عنها « **الميزان والنقد المنهجى عند العرب** » فى شبابه كما ينم عنها «**الشعر المصرى بعد شوقى** » وكثير من مقالاته الاخيرة بعد استدبار الشباب . على أن تلك القدرة لم تقف به عند التعلق بالقيم الجمالية وحدها ، فلم يلبث طويلا بعد اوبته من رحلة طويلة الى فرنسا حتى عصفت به رياح السياسة ولم تزل تعصف به حتى تخلت القيم الجمالية عن مكانها للقيم الاجتماعية . وبعد أن كان يستجوب النص أصبح يستجوب صاحب النص، ويصغى للمضمون قبل أن يصغى للعبارة .

لقيته أول مرة منذ عام واحد بعد خصام بينى وبين زوجته الشاعرة ملك عبد العزيز على صفحات الآداب البيروتية حول رأى له فى تجديد عروض الشعر العربى خلاصته أن تساوى تفعيلتين فى عدد المقاطع يجيز الجمع بينهما مثل تفعيلة الوافر « مفاعلتن » وتفعيلة الكامل «متفاعلن» أو تفعيلة الهزج «مفاعيلن» وتفعيلة الرجز « مستفعلن » . وكان يستشهد على امكان الجمع ببيت النابغة :

أمن آل مية رائح او مغتدى
عجلان ذا زاد وغير مزود

فيقرؤه بزيادة همزة « الحزام » وقصر همزة « آل » بحيث تصبح التفعيلة الاولى «مفاعلتن» وبذلك تجتمع مع « متفاعلن » . قال لى : ماذا تنكر من هذا الرأى؟ قلت: نبوه عن موسيقى الشعر العربى وقصور الشاهد لأن قراءة البيت قراءة غريبة تخرج على العرف اللغوى . قال : أذكر أن كتابا قديما أشار الى هذه القراءة . قلت: ولو . ومنذ ذلك الحين وهو يدعونى بالمشاكس . وفى أول زيارة أهدى الى بعض كتبه وكتب على أحدها «الى الصديق المشاكس سابقا» قلت : ربما تستمر المشاكسة يادكتور ، فتناول كتابا آخر وكتب فى اهدائه : « الى الصديق المشاكس لاحقا » ، ثم استدرك قائلا : ولكن المهم أن تكون المشاكسة فى سبيل الحق، وتناول كتابا ثالثا وكتب « الى الصديق المصر على المشاكسة فى سبيل الحق » .

ومنذ ذلك الحين عرفته وديعا وقويا ، يحسن الفكاهة ويعرف الكثير .

ثم تكررت زياراتي له وفي احداها أفضى الى بضيقه بالاعباء الصغيرة التي تستنفد وقته وجهده ورغبته في التخلص منها والاضطلاع باعباء أكبر ولكن هذه الاعباء ظلت تلاحقه حتى استنفدت حياته نفسها . كان يفكر وهو على فراش الموت في مراجعة رسالة عن الشعر الحديث لطالب سوداني من تلاميذه في معهد الدراسات العربية العالية قدم في اجازة من السودان على نية انهاء الرسالة ، وحار الدكتور مندور كيف يتمكن من مراجعة الرسالة في المدة القصيرة ، وانتهت حيرته منذ أيام .

كان قلبا كبيرا يسعده أن يقدم العون للناس مع ادراكه لنواحي القصور فيهم . كان قلبا خيرا عامرا بالرقة والسماحة . وفي اعتقادي انه لم يفاجأ بالموت كما فوجئنا ، فقد ساوره الخاطر في العام الاخير مرات كثيرة ، وتحدث به في أيامه الاخيرة الى أسرته ولكنه كان يبدو دائما متفائلا مليئا بالحياة يترقب انقضاء الأزمة ليسافر مع بعض ، قبيلته ، الى رومانيا ـ حديثا عن الموت وحديثا عن الرحلة المرتقبة كأنما ينبه أسرته الى احتمال وقوع الفاجعة ثم يريد أن يبعد عنهم شبحها .

كان قلبا صادقا مخلصا يحس بهموم جيلنا لايناى به حماسه للعمل عن الشعور بالضياع الفكرى الذى ينشب مخالبه في عقول الشباب فيمتص حيويتهم وقدرتهم على العمل المثمر الخلاق . وقد أشار الى ذلك صراحة في مقاله الاخير الذى نشرته «روزاليوسف» بعد وفاته . ولعل قربه من أبناء الجيل هيأ له أن يتفهم مشكلاتهم عن كثب ، ولكنه لم يقف عند نطاق التفهم بل تجاوزه الى التعاطف مع المشاعر القلقة الباحثة عن اليقين . كان الدكتور مندور يؤمن بالاشتراكية ولكنه لم يكن من الحرفيين الذين يقفون موقفا جامدا عند النصوص وانما كان له فهم خاص للمبدأ يتعارض مع أسس النظرية الماركسية . زرته مرة وهو يستعد لكتابة مقال عن « الاشتراكية والتفسير المادى للحياة » نشرته مجلة الثقافة في عددها الخاص عن الاشتراكية ، وكان حوار تمخض عنه المقال أدركت فيه حقيقة موقفه تجاه الفلسفة الماركسية . كان موقفا وسطا لا يعول كل التعويل على المادة ولا يعول كل التعويل على الفكر . يقول «انني أومن بان الانسانية لم تتطور وتتحضر وترتقي نتيجة لتغيير أسلوب الحياة المادية ووسائل الانتاج المادى فحسب ، بل كان للعامل المعنوى أثره البالغ ايضا في هذا التطور العام » ثم يقول «الحضارة والتطور ليسا نتيجة لتطور وسائل الانتاج وأسلوب الحياة المادية وحدها ، بل أيضا نتيجة لاستقرار البشر على ما سماه فلاسفة الاخلاق من العرب القدماء آداب الرياضة والاستصلاح أى آداب رياضة النفس الفردية واستصلاحها من جهة ثم آداب المواضعة والاصطلاح أى الآداب الاجتماعية من جهة أخرى . ومن المؤكد الواضح أن الديانات السماوية قد كان لها فضل كبير بل أكبر الفضل في ارساء أسس هذين النوعين من الآداب أى من الاخلاق الشخصية والاخلاق الاجتماعية » .

والحق أن الماركسية فلسفة بما فيها من تطرف ولا تكون فلسفة اذا استجابت لمنتقدى التطرف وأنصار الوسط . والذين يريدون أن يخلصوها من غلواء المادية انما يريدون شيئا آخر لا يمت اليها بصلة . ولذا لم يكن غريبا أن تضع الماركسية أنصار الوسط في جبهة واحدة مع أعدائها . وتوسط الدكتور مندور له سبب آخر يضاف الى ان قربه من أبناء الجيل هيأ له أن يرى الواقع على حقيقته ، فالتسليم بالخواء أمر فظيع ولكن انكاره وهو واقع ماثل للعيان أمر أفظع . وهكذا كتب الدكتور مندور عن الضياع الفكرى لأنه لم يضع على عينيه غشاوة باسم المبدأ والعقيدة تحجب عنه افتقار الناس الى المبدأ والعقيدة ، ولكنه لم يكن من الذين يتلهون بمنظر الحرائق، لم يكن من الذين يستمرئون القعود حين الحاجة الى العمل ، ولذلك كان دائب العمل على الخلاص من الخواء ، ومع أن الغاية مازالت بعيدة الا أنه حاول أن يضع الناس على أول الطريق الى الغاية البعيدة . وأول الطريق الايمان بأن الانسان كائن أخلاقى يفقد انسانيته اذا أصغى لنداء بطنه فقط وقبل أن يصبح ترسا في عجلة ضخمة لا تنتج غير الخبز والطعام .

كان يتحدث مرة عن معاشه الذى لم يكن يتجاوز تســـعة جنيهات · قال ان مصلحة المعاشات تطالبه بالفى جنيه حتى يرتفع معاشه أو معاش ابنائه بمعنى ادق ، وقرر ان يدفع المبلغ من أجل الابناء · قلت له: يقولون انك غنى يادكتور · قال : أعلم ، وبعد برهة وبغير انفعال قال : واعلم أيضا أن بعض من يزعمون انفســـهم اشتراكيين أو تقدميين هم الذين يقولون هذا ·· كل ما أملكه بضعة أفدنة وبيت أسدد فى اقساطه منذ سنتين وما زالت أمامه سنتين أخرى حتى يئول الى ، أمحظور ان يعمل المرء من أجل ابنائه ؟ الاشتراكية لا تدعو الى الفقر ·

وقد بقى الدكتور مندور مشتعل الذكاء حتى آخر أيامه · وجدته مرة يراجع الطبعة الثانية من كتاب « النقد المنهجى عند العرب » وطلب الى مراجعة بعض الصفحات فوقفت عند نص مقتبس من كتاب الموازنة للآمدى مبهم المعنى يتحدث عن فن البديع عند أبى تمام · يقول النص «كان الشاعر يقول من هذا الفن البيت والبيتين فى القصيدة وربما قرىء من شعر احدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت واحد بديع، وكان يستحسن ذلك منهم اذا أتى «قدرا» ، ويزداد « حظوة من » الكلام المرسل ·· » قلت : فى العبارة خطأ لا شك · ولم نهتد الى الصواب ·

وأطرق الدكتور مندور ودق أسنانه بطرف ابهامه على عادته عندما يفكر فى أمر شائك ثم انصرف الى شىء آخر حتى ظننت أنه شغل عما نحن فيه · وبعد برهة صحح العبـارة دون الرجـــوع الى المصدر · واستقام المعنى على النحو التالى «كان يستحسن ذلك منهم اذا أتى نادرا ويزداد حظوة بين الكلام المرسل» · ولما كنت ألاحظ أن الدكتور مندور يعتمد على ذكائه وذوقه أكثر من اعتماده على الجذاذات والمذكرات فقد اسررت فى نفسى ان ارجع للآمدى لأرى مبلغ الصواب فى تصحيح العبارة فقد يعول المرء فى نشدان الحق على المنطق والذوق بينما يكون الحق قابعا فى ورقة صفراء من مجلد قديم ، ولـكننى وجدت تصـــويب الدكتور متفقا مع نص الموازنة ·

وفى آخر مرة رايته فيهـا كان الطبيب قد أمره بملازمة الفراش · رجوته أن يبقى مستلقيـا ولـكنه نهض جالسا وطلب فنجانين من القهوة فجىء بفنجان واحد ، كان متلهفا على القهوة ولكن الطبيب اوصى بالامتناع عن التدخين وعن القهوة · وظلت السيدة ملك تتحايل عليه حتى نسى القهوة وبدأ يراجع مع أحد الزائرين ترجمة عن الانجليزية لرواية « العقب الحديدية » للكاتب الامريكى « جاك لندن » واقترح كلمة «الكعب» بدلا من العقب ولكنه عدل عن اقتراحه بعد رجوعنا الى القاموس المحيط وتبينه أن «الكعب» لا تؤدى معنى «العقب» وبعد تناول غدائه ظللنا الى جواره حتى أسلم أجفانه للنوم ·

خرجت منقبضـــا ، وبعد أسبوع أسلم أجفـانه للنوم العميق ·

واذكر فى نهـــاية هذه الكلمة أنى طلبت يوما ما رأيه فى هجوم شنته احدى الجرائد اليـــومية على العقاد فقال : ليت العقـــاد عاش ليحرك القلم على الورق باى كلام يدور بخاطره · وما كان يخطر على البال ، وقد بقيت هذه الكلمات فى ذاكرتى لأرددها عنه هو :

ليته عاش ليحرك القلم على الورق باى كلام يدور بخاطره ·· ولكن ، ما كل ما يتمنى المرء يدركه ·

رحم الله كاتبنا الكبير ·

لقد كان وديعا ، وكان قويا ، وكان يعرف الكثير ·

« الحسانى حسن عبد الله »

الحرية .. في الإسلام !!

بقلم : محمد جلال كشك

اشترطنا على انفسنا ، قبل ان نبدأ هذا الحديث ، ان نلتزم بالجد وحده .. فلا سبيل للمزاح فيه .. لان الامر جد ، والحديث خطير ٠٠ نحاول فيه أن نصد بايماننا ، وبما يتاح لنا من المعرفة ، هجوم الآخرين على حضارتنا وتراثنا ٠٠ مفندين هذه الدعوى ، التي لا يملون تكرارها ، ولا يستحون من ترديدها ٠٠ وملخصها ان العرب ، لا شيء ! .. وانهم عالة على اوربا ، لم يقدموا للانسانية شيئا ونقلوا عن أوربا كل شيء .. وحسبهم ان يحسنوا التعلم من هذه الأوروبا ..

بينما نؤمن نحن بكل بساطة ، ان البشرية لم يمر بها يوم اشرق من يوم كنا نحن شمسه ، وان الحضارة الاسلامية قد أعطت الانسانية أجمل صفحاتها .. وانه رغم التفوق المادى الساحق ، للحضارة الغربية ، فانها لم تقدم قيما ارفع من القيم الاسلامية ٠٠ ومن ثم كان من حقنا أن نتمسك بقيمنا ونسعى الى التفوق المادى ٠٠ لنعطى البشرية يوما جديدا ٠٠ من أيامها المشرقة ٠٠

وبكل صدر رحب ، سنناقش اتهامات هؤلاء ، لحضارتنا وتراثنا ، راجين ، ونحن الأجدر بالغضب ، ان يتقبل الآخرون حجتنا بقلب مفتوح ، وفكر غير متحيز ٠٠

ولنبدأ برأيهم **في « الحرية »** ٠٠ ، وهى كما ترى قضية خطيرة ، جديرة بأن نبدأ بها حديثنا ٠٠

وان شئت ان الخص لك رأيهم ، لقلت انهم يرون ان العرب لم يعرفوا الحرية لا ممارسة ولا حتى لفظا .. بل تعلموها من أوربا .. استوردها لهم الشيخ « رفاعه رافع الطهطاوى » طيب الله ثراه ..

ولكن انعدام الثقة المتفشى ، بين الكاتبين والقارئين ، لا يسمح لنا بهذا التلخيص .. ولا بد من أن تنقل رأيه بحروفه ٠

قال فى محاضراته بمعهد الدراسات العربية ، وطبع له هذا القول على نفقة « **الجامعة العربية** » وتحت شعارها ٠٠ فى كتاب اسمه «المؤثرات الاجنبية فى الأدب العربى الحديث » ٠

قال بعد أن أورد نقلا عن « الطهطاوى » قصة عمر بن الخطاب مع عمرو بن العاص ، عندما عاتبه قائلا يا « عمرو متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا » وعلق الطهطاوى كما يفعل العقلاء بقوله .. « فمنه يفهم ان الحرية ايضا من طباع العرب من قديم الزمان » ..

ومن هذا الكلام يخرج « الآخر » قائلا : « وقد كان منطق الطهطاوى فى ذلك منطقا سليما ، لأن فكرة (الحرية) بمعناها السياسى ، والمدنى ، فكرة لاتقاليد لها فى المجتمعات العربية أوفيما نبع عنها من فلسفات الفلاسفة ، او فقه الفقهاء ، او أدب الأدباء ٠ بل ان مدلول كلمة (الحرية) فى اللغة العربية ذاتها ، مدلول مختلف عن مدلول كلمة « libertas » اللاتينية التى خرجت منها كلمة (ليبرتيه) ومشتقاتها من اللغات الأوروبية الحديثة ، فهى لا تستعمل فى معناها

الاصلى فى العربية الا كمقابل للعبودية ، والادب العربى والتشريع العربى زاخران حقا باستخدام كلمة : (الحر) و (العبد) وما يتصل بها من مشتقات ، ولكن بالمعنى القانونى البحت لا بالمعنى السياسى أو الاجتماعى ، فهما تصفان علاقة امتلاك انسان بقوة القانون أو الخلو من الامتلاك وما يتبعه من سقوط هذه العلاقة أو عدم وجودها أصلا .

و (العبودية) حالة من حالات (الرق) والحرية هى الخلو من هذه الحالة بالاصالة او الاكتساب .

والشاعر حين يقول :

والريح يا غلام ريح صر

ان جلبت ضيفا فانت (حر)

والشاعر حين يقول :

العبد يقرع بالعصا

و (الحر) يكفيه المقال

انما يشير فى الاصل الى (العبودية) و (الحرية) بالمعنى القانونى لا بالمعنى السياسى او الاجتماعى مهما كان المراد بالمجاز غير ذلك . والغريب ان اللغة العربية رغم وفرة ما فيها من مفردات تدل على سلب الحرية السياسية أو الاجتماعية من الرعايا أو المواطنين مثل الطغيان والجبروت والاستبداد لم تستخدم فيها كلمة الحرية او كلمة الاستقلال كنقائض لها الا فى العصر الحديث . والمدلول الأصلى لكلمة libertas أو الحرية فى اللغات الاوروبية هى حرية الحر لا حرية العبد أو الرقيق، اى الحرية المدنية أو حرية المواطن داخل الدولة ، ولقد تستعمل فى التعبير عن الحرية بالمعنى القانونى، ولكن على سبيل المجاز . أما فى العربية فالمعنى القانونى هو الاصل والمعنى السياسى الاجتماعى هو المجاز . ولقد نجد فى آثار الادب العربى القديم استعمالا لكلمة الحرية بهذا المعنى المدنى ، ولكن هذا هو الشاذ لا القاعدة .

وقد اقترن بهذا الوضع اللغوى وضع حيوى وهو أن كلمة « الحرية » لم ترفع أبدا كشعار أو مبدأ أو هدف سياسى أو اجتماعى فى كل ما نشب من ثورات أو حركات استقلالية فى العالم العربى قبل القرن التاسع عشر رغم تعدد هذه الثورات التحررية والحركات الاستقلالية بحيث لا نجد لها اثرا فى الأدب العربى أو التاريخ العربى قبل هذا التاريخ. فان وجدناها فانما نجدها كمبدأ لتصفية علاقات قانونية محددة كالعلاقات بين الرقيق أو العبد ومالكه ، والاغلب استخدام كلمة « الاعتاق » : « الأبوق » ، فى وصف الاوضاع المختلفة لتصفية هذه العلاقة القانونية بدلا من كلمة « التحرير » و « التحرر » و « الحرية » وبالنسبة للاناث نجد أن هذا المعنى القانونى ملازم لكلمة « الحرائر » كنقيض لكلمة « الاماء » واستخدام كلمة « تحرير » بالنسبة للمرأة وبالمعنى الاجماعى والمدنى أيضا لم يظهر الا كمجاز منذ القرن التاسع عشر .

« **الحرية** » اذن بالمعنى السياسى والاجتماعى الشامل المتضمن فى كلمة (libertas) نتيجة لاتصال العرب بالحضارة الاوربية وبالفكر السياسى والاجتماعى الغربى فى القرن التاسع عشر . »

انتهى كلام المذكور ..

وقد كان بوسعنا ان نرد على هذا الكلام فى اختصار شديد فنقول ان الدليل الذى لا يدحض على أن للحرية تاريخا عريقا فى التقاليد العربية .. أن مثل هذا الكلام قيل فى معهد الدراسات العربية .. وعلى الطلبة العرب .. ثم طبع على نفقة جامعتهم العربية ، ليتداوله القراء العرب ! ..

ولكننا التزمنا بان نجعلها دراسة موضوعية وجادة كل الجد .. فلنسأل .. ما هى « الحرية » يا هذا ؟ .. هل لا بد أن تشتق من اللفظ اللاتينى (libertas) ؟! .. والذين لا جذور لاتينية لهم .. هل كتب عليهم أن يعيشوا فى اللا حرية حتى يأتيهم الخلاص من اللاتين ؟ .. والهداية من ورثة اللاتين ؟!

ذلك تفسير فيه من التعسف ما يشهد لطلبة قائله بطول البال ، وشدة الصبر ..

الحرية ــ واسمح لنا يا هذا ــ نستطيع أن نقسمها الى نوعين : حرية فردية .. وحرية اجتماعية

.. اى حرية الفرد كانسان .. وحريته كعضو فى جماعة ..

ودون اغراق فى التعريفات ، نستطيع القول ان حريته كانسان تتجلى فى حرية الضمير أو حرية الفكر .. فان شئنا أن نعرف حرية الفكر ، فانا يستهوينى تعريفها بانها حرية الخطأ .. اى التسليم بحق كل عقل بشرى فى التفكير .. وان الخطأ فى التفكير لا يشكل جريمة ولا يعكس خيانة .. ذلك ان التسليم بوجود حقيقة مطلقة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .. يلغى حق المناقشة ، ويسقط الاعتراض . فاذا انتقلت قدسية هذه الحقيقة المطلقة الى بشر ، كائنا من كان .. فانتقل اليه وحده حق التفسير ، أو حق الاستنباط ، ومن ثم اصبح من حق هذا البشر أن يقرر الصواب والخطأ .. مهما تكن صفة هذا البشر .. هنا تنتفى حرية الفكر .. لأن الصواب والخطأ لا يعودان مجرد حلول فكرية وصل اليها عقل بشر ، فهى قابلة للمناقشة والتعديل والتصويب .. بل يصبح الصواب هو ارادة الحقيقة المطلقة أو التعبير عن هذه الارادة .. التى هى دائما تعبر عن نفسها فى صيغة واحدة . ويصبح الخطأ تجديفا فى حق هذه الارادة ، والخطأ هنا هو كل مخالفة لصيغة الحق المطلق .. وهو من زيغ الشيطان الذى ينطق على لسان المعارض للحكمة اللاهوتية ، أو تعبير عن مصالح الطبقات المعادية التى تنطق على لسان المخطىء ، وتعكس مصالحها فى ذهن المتشكك .

ومن هنا لا تمكن مقارعة الفكرة بالفكرة .. فما دام هذا الاقتناع الوحشى بالصواب ، يملأ النفس ، فلا سبيل الى التسامح مع المخطىء ..

ان حرية الفكر هى حرية الخطأ .. هى التسليم بأن العقل البشرى ، متساو .. وانه لا سبيل — حتى الآن — لحصر الصواب فى جانب واحد أو فى فئة معينة من بنى الناس .. وتوارث هذا الفهم .. ولو سلمنا بان اجوبة العقول الالكترونية هى الصواب الأبدى ، فسنقضى على التقدم ، لأنها تجيب من حصيلة المعلومات البشرية ، الدائبة على التغير ..

اذن فالسبيل الى اقرب صواب ممكن ، هو حرية التفكير وعلى أوسع نطاق .. برفع القدسية عن الفكر البشرى ..

فما هو الموقف عند العرب المسلمين ؟ ..

عندنا ان الله وحده .. هو الحق المطلق .. والصواب الابدى .. وهذا الصواب لا ينتقل لبشر .. ولو كان ثمة من لا يخطىء من البشر .. أو قل : كانت هناك امكانية وجود عقل بشرى لا يخطىء لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ولكننا نؤمن أن العصمة لله وحده .. فالرسول يخطىء فيعاتبه الوحى ويراجعه :

« عبس وتولى . أن جاءه الاعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى . اما من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك الا يزكى . وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى » .

« يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين . ان الله كان عليما حكيما » .. « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » .

والرسول بشر فيخطىء ، فيرجع الى الحق .. امر أصحابه ان يكفوا عن تلقيح النخل « لو تركتموه لأثمر .. » فلم يثمر النخل .. وجاءوا الى الرسول ، فنفض يده من الامر واعترف « انتم أعلم بأمور دنياكم » بينما كان ستالين يفتى فى اللغة والادب والقوميات ويوصف بانه ملهم فرق الدبابات وراقصات الباليه ! ..

والمسلمون يناقشون الرسول ، ويصوبون رأيه ، فينزل عند رأيهم ..

لما خرج صلوات الله عليه بالمسلمين فى أول غزوة ، نزل بهم موضعا أراد ان تعسكر فيه جيوش المسلمين فى انتظار وصول العدو فجاءه واحد من المسلمين ، هو الحباب بن المنذر .. يرسى قواعد الديمقراطية الاسلامية .. بدأ بان سأل الرسول : « يا رسول الله .. ارأيت هذا المنزل (الموضع) أمنزلا انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ »

واضح أنه ان كان منزلا امر الله به .. فكما قال الحباب بن المنذر .. هنا ينتهى النقاش ويبطل

الاجتهاد .. ويرد الصادق الامين .. « بل هو الراى والحرب والمكيدة .. » اى أن هذا الموضع هو من تدبير الرسول .. من فكره وكخطة عسكرية وصل اليها .. ولا يتلعثم المسلم ولا يتردد بل يخطىء رأى الرسول صلوات الله عليه ويقول « يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل (اى ليس بالموضع المناسب) فانهض بالناس حتى نأتى ادنى ماء ... الخ)

هاهو الرسول فى اول حرب يقود فيها المسلمين .. وها هو اول قرار عسكرى يتخذه .. يخطئه فيه جندى فى الجيش .. فماذا يفعل .. اى قائد عسكرى كان سيرفض التنازل عن رايه ، وربما التمس له المؤرخون الف عذر .. اذ لا شك فى خطورة الموقف على معنويات الجنود .. ولكن رسول الله يبنى امة .. بل يبنىء الطريق للانسانية كلها .. ولابناء للامم ، ولا امل للانسانية الا بالمواطنين الاحرار .. الا بالديموقراطية الحقة .. بحرية التفكير .. بقبول النقد وممارسة النقد الذاتى ..

لذلك يقول رسول الله : « لقد اشرت بالراى » ونهض رسول الله ومن معه من الناس الى حيث اشار الحباب بن المنذر ..

وانتصروا بديموقراطية الرسول .. بل بالمعنوية الهائلة التى يمتلكها الرجال الاحرار .

هكذا كان سلوك الرسول .. ومن ثم ليس فى الاسلام جهة دينية ولا سلطة زمنية لها وحدها حق الاجتهاد .. بل لا يطلب الاسلام من المسلمين فرض دينهم بالقوة .. وهو الصواب المطلق وارادة الله .. ومع ذلك فان القرآن يعلن :

«لا اكراه فى الدين .. قد تبين الرشد من الغى» .. انتهت مسئولية الاسلام عند هذا الوضوح ، عند تبين الرشد من الضلال ، واصبح كل انسان يتحمل مسئولية اختياره .. ويعلن القرآن للرسول « انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء »

« فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .. فمحرم فى ديننا اجبار الآخرين على اعتناق الاسلام ..

اما فى داخل الفكر الاسلامى ، فحرية الخطأ ليست ، فقط ، مكفولة ، بل يثاب عليها .

ولست اظن ان فلسفة او نظاما ، قد شرع ، ان للمجتهد ان اصاب اجران وان اخطأ اجر » .. ليس فى تاريخ البشرية ، تحريض اوضح من هذا، على التفكير الحر ..

أمثال هذه الامة لا تعرف الحرية لانها لم تشتقها من « ليبرتيه » !!!

وما دامت المساواة قد تحققت بين العقول .. فان التصويب ، حق لكل مواطن ، بل فريضة .. فمن راى منكرا فليغيره بيده أو بلسانه .. او باضعف الايمان ، وهو القلب .. فالاسلام يامرنا — كحد ادنى — ان نستنكر الزيف بقلوبنا .. اذا ما فرضت السلطة الخطأ .. وكنا أضعف من ان نواجهها .. لا أن نرى الحق فيما تراه القوة ..

واذا استند الباطل الى السلطة،حقت الثورة .. والذى يحرض على ذلك هو امير المؤمنين عمر .. يامر بقتل الخليفة المنحرف ، فراجعه طلحة « فهلا قلت لو انحرف عزلوه .. » فيابى عمر : « لا .. القتل انكل لمن بعده » ..

اذن فليس فى الاسلام ، ظل الله على الأرض .. وقد حرص المسلمون على تسمية سلطانهم « خليفة رسول الله » . . لا خليفة الله .. ويخطىء السائحون من المستشرقين عندما يطوفون بالتراث الشرقى ، ويلتقطون بعض الألفاظ من التراجمة ، فيعقدون مقارنات بين خليفة المسيح وخليفة رسول الله ، ووجه الخطأ ان رسول الله لا يمت للألوهية بشبهة ، بل هو بشر يمشى فى الاسواق ويكلم الناس .. يتزوج ويطلق .. ويموت .. «وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » وهو يخطىء ويصيب ، فبالتالى لا قدسية لخليفته .. والطاعة المفروضة لهذا الخليفة هى نتيجة العقد الذى يقوم بينه وبين المواطنين بالبيعة .. وليست بسبب شىء خارق يحل فيه بمجرد انتخابه !

لا اريد ان اطيل .. المهم أن الفكر البشرى ، فى ظل الاسلام ، حر مائة فى المائة ..

اما أن تحاسبنا يا هذا بعصور الانهيار فليس ذلك عدلا ولا علما .. لأن كل الحضارات تمر بمراحل ازدهار ، وأدوار انهيار ..

وكل الحضارات تتحصن فى مرحلة انهيارها بقوقعة تعصبها .. حتى لا يفتك بها ازدهار خصمها . فاذا شئنا أن نرجع الأمور الى جذورها ، وجب أن نبحث فى جوهر الاسلام الحقيقى أو نقارن التخلف بالتخلف .. لا ان نأتى بعصر المماليك .. بل بأسوأ عصور المماليك .. أو عفن محمد على ، فنواجه به أوروبا فى قمة تألقها .. ونخرج من ذلك بحكم خاطىء ظالم على حضارتنا ! ..

ان العقل الاسلامى الحر، استطاع أن ينطلق الى آفاق لم يجرؤ غيره على الاقتراب منها لمدة قرون .. حتى ان المسلمين يأتون رسول الله فيقولون « انا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم احدنا أن يتكلم به .. » فيقول الرسول « وقد وجدتموه . ؟ ! قالوا : نعم ! .. قال ذلك صريح الايمان ! » .. « وسئل النبى عن الوسوسة قال تلك محض الايمان » .. والمسلمون يتساءلون حتى فى الآيات .. فينسخ سبحانه وتعالى ما سطر قدره فى اللوح ، من قبل أن يخلق الخلق .. وبارادته نزلت وبمشيئته نسخت .. وبالحق أنزله وبالحق نزل ..

وعمر يسجل احتجاجه على الاهتمام بالحجر الاسود فيقول : انى أعلم أنك لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله يقبلك ما فعلت » .

ويختلف المسلمون حول الفلسفة الالهية ، بل حتى الذين عذبوا مخاليفهم يؤكدون حرية الفكر الاسلامى ، اذ أن هذا التعصب ليس من الاسلام ، بل هو من الطبيعة البشرية التى تخشى الفكر المخالف ... بينما ينهى الاسلام عن هذا التعصب .

وتكتمل حرية الفكر فى الاسلام بحرية الضمير .. اذ لا سلطان خارجى على الضمائر ، والناس لا تحاسب الا على ما تعلنه ..

بل الأمر أروع من هذا ..

عن أبى هريرة قال : « لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لله ما فى السموات وما فى الأرض ، وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير » . قال فاشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب ، فقالوا أى رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق ، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد نزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها قال رسول الله اتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا ، بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ، فلما قرأها القوم ذلت بها ألسنتهم فأنزل الله فى اثرها «آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » . فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها ... » الى آخر الآية .

ولا يحاسب المسلم الا على ما ارتكبه .. ولا تعاقب السلطة الا على ما يثبت بالدليل القاطع او الاعتراف .. ويأبى الاسلام اذلال النفس بتعريتها امام بشر آخر .. بل هو يأمر فى حالة الابتلاء بالستر ..

ألست ترى معى انها قيم غاية فى الروعة، تستحق ما نالته من خلود .. وانها قيم يطيب الموت فى سبيلها ؟..

ثم الى الاسبوع القادم لنحدثك عن حرية المسلم كعضو فى الجماعة ..

« محمد جلال كشك »

حول الأدب في الشرق

بقلم عبده بدوى

فى الطريق الى المنصورة

كلمات دارت فى ذهنى فى الطريق الى المنصورة :

– هل يستطيع هؤلاء الكتاب المتألقون الذين هبطوا المدينة ، والذين تلمع أسماؤهم الى الحد الذى يمكن فيه أن تتغلب على الليل ان هبط ، والذين ينسجون من نور أعينهم هذا العالم الكبير من الكلمات الذى يفيض فى كل يوم على المنطقة العربية ، شلالات من فكر ، ونبضات من أمل .. هل يستطيع هؤلاء أن يصلوا الى فكرة بناءة خاصة بهم بحيث يعودون بها الى القاهرة ؟

نعم دار فى ذهنى هذا السؤال ، وقد حاولت الا اجيب ، ولكن هذا السؤال كان ينمو وينمو الى الحد الذى أقلقنى ، والذى حملنى حملا الى أن أحدق فيما قالوه ، والى أن أحدق فى الوقت نفسه فى وجوههم، لتكون هى الأخرى شاهدا على ما أقول .

وقد تكون الاجابة سهلة لو أننا فى مجال الفكر قلنا ان هناك كتابا يحتضنون الاشتراكية وكتابا يقفون ضدها ، وكتابا يقفون على أرض الجمهورية العربية المتحدة ، وكتابا يقفون على أرض أعداء الجمهورية العربية المتحدة ، وهناك من يغمس قلمه دائما فى دواة الشرق أو الغرب ، دون أن يترك هذا القلم ولو مرة واحدة ليشرب من عرق الجماهير ، ويرتوى من خضرة العروبة ، ويرفد من الوميض فى عين الانسان .

وليس معنى هذا انه لم تقم فى القاهرة عملية تصنيف لكل كاتب ، فليس أسهل من الكلمات التى تلقى بالكتاب على اليمين واليسار ، وعلى التقدمية والرجعية ، وعلى الصلابة والانحلال ، لا لشىء الا لأن هذا شيخ وهذا شاب ، وهذا يقف على التراث وهذا لا يقف على شىء ، وهذا قد سجن وهذا لم يسجن ، وهذا لأنه يكسر عنق البلاغة ، وهذا لأنه يفضل أن يبقى العنق غير مكسور .

وليت كل هذا كان صحيحا ، ولكن فكرة « **الأبيض والأسود** » يبدو أنها فكرة خبيثة فى الثقافة ، وبخاصة اذا فكرنا فى الدوافع التى تحركها وفى ماضى وحاضر هؤلاء الذين لا يكفون عن الثرثرة حول عملية التصنيف هذه ، فاذا أضفنا الى ذلك أنها عملية تشل الفكر ، وتشيع الرهبة ، وتجعل الخوف يتجول دائما بين الأقلام .. أدركنا انه يجب

ان يذوب نهر الجليد الذى يزداد خطره يوما بعد يوم بين المثقفين ، والذى يجعل بعض الأقلام تتحول الى خناجر لا تضرب الا فى الظهر ، او يجعلها فى خدمة هذا أو ذاك دون أن تكون لمرة واحدة فى خدمة الحقيقة !

صحيح انه لا بد ان تأخذ بعض الأقلام بخناق بعض ، ولكن يجب أن يكون كل هذا محركا بدوافع الغيرة على هذا الوطن ، ومن أجل بناء الانسان ، ومن اجل وحدة الحضارة ·

اما أن تتخصص بعض الأقلام فى العداء لفترة من الفترات التاريخية ، وفى النسف لكل وجه يحمل ملامح معينة ، وفى جعل المنطقة فى خدمة بعض النظريات دون أن تكون هذه النظريات فى خدمتها، وفى تفريغ الانسان العربى من محتواه الحضارى ·· فشىء لا يمكن قبوله فى هذه الفترة ·

ان الذى لا شك فيه أنه يجب أن نقف وقفة قصيرة لنعرف من نحن ؟ وماذا نريد ؟ وماذا نملك ؟ وما الذى نحن فى حاجة اليه ؟ فالنظرة الأولى توضح أن الحضارة العربية قد شوهت كاقسى ما يكون التشويه ، ومع أنه كان يجب أن نتخطى مرحلة « الوصاية » هذه **ـ كما تسمى فى الأدب الافريقى ـ** من فترة كبيرة الا أننا لا زلنا نعيش فى دائرتها الى الآن ·

فمن المسلمات الأدبية ، أو شبه المسلمات الأدبية مثلا أن العرب لا يخرجون عن عدة قبائل تحمل دائما سيوفا مخضبة بالدم ، وهم فى هذا يتجاهلون حضارات زاهرة كالسبئية ، والمعينية والحميرية ، وهناك من يقول ان الاسهام الحقيقى فى كافة نواحى الفكر والعلم كان للعناصر الفارسية ، وكان هؤلاء لا يسمعون ألف صوت يقول ان العرب كانوا بحق آباء العلم التجريبى ، وكأنه كان مطلوبا منهم التفوق فى السياسة ـ وقد كانوا يمثلون رجال السياسة دائما ـ فى العلم ، مع أن بعضهم قد جمع بين هذين الجانبين ، وكأن هذه العناصر التى ابدعت فى الفلسفة والتشريع كالفرس **كان لها ماض** فى هذين الفرعين وغيرهما ؟ وهناك من يضيق عينيه فى وجوههم لأنهم لم يهتموا مثلا باقامة التماثيل ، ولم يجعلوا الانسان دائما فى حالة صراع مع الآلهة كما فى التراث اليونانى وفى حالة عوس جنسى ووحشى كما فى جوانب من التراث الرومانى ،وكأن الحضارة العربية هى الوحيدة التى خلت من بعض ما وجد فى هذه الحضارات ،وكأن بعض هذه الشرور كان من الخير وجوده فى كل حضارة من الحضارات ·

ولعل من المضحك حقا أن يردد مثلا **ـ حتى أساتذة الجامعة** ـ أن الشعر العربى القديم كان قائما على البيت المغلق ، ولو درس هؤلاء هذه النماذج التى تحت أيديهم لرأوا أنها لم تصل اليهم كاملة ، وأن بعض النماذج التى تقدم كدليل على الادانة يتكون من ثمانية عشر بيتا ، ولكن تتبع نفس القصيدة فى أكثر من مصدر أكد أنه يقارب المائة ، وأنه يحتفظ ـ كمئات من النماذج الأخرى ـ بالوحدة الفنية التى لا تختلف عن الوحدة التى تشاهد فى الشعر المعاصر ·

ثم لماذا تقدم الحضارة الاغريقية على أنها الحضارة التى ليست بعدها الحضارة وانها التى يجب أن تستوحى وتعاد صياغتها الآن فى الأدب المعاصر ، فى الوقت الذى يتم فيه الصمت عن حضارات لا تقل عنها نضارة وروعة كالفرعونية ، والفارسية ، والصينية ، والأفريقية التى يزاح عنها الستار الآن شيئا فشيئا ؟

ان هذا معناه أننا ما زلنا نعيش فى فترة « **الوصاية** » ، وأن عندنا من الكسل العقلى مايجعلنا نقبل كل ما قدمه لنا الأجانب ، وأنه ليست عندنا المقدرة لرفع التراب عن المنجم المطمور فى حياتنا ، وأن كل ما نريده الآن ، بل ان كل ما يملأ حياتنا هو شىء دفع به دفعا الى وجودنا ، وأنه كان يجب أن نفرزه لا أن نقبله كقضايا لا تقبل المناقشة ·

ان من السهل حقا أن يفتح باب الاستيراد على مصراعيه ، وفتح هذا الباب ضرورة لا بد منها ، بل انا نطلب أن يدخل من هذا الباب ما يعصف عصفا بكل ما فى عقولنا ، لأن كل ما فى عقولنا شىء مستورد من مناطق بعينها ، ولهذا كانت دعوتنا فى أكثر من مقال اننا لسنا ضد حضارة بعينها ، ولكننا ضد تفرد أية حضارة فى الميدان ، ومن هنا كانت دعوتنا **ـ فى الشعر مثلا ـ** الى استيحاء الرموز والأساطير من كافة الحضارات التى نسجها الانسان فى الشرق والغرب ·

ومن خلال هذا الجو الصحى نستطيع أن نستنبت أفكارا جديدة تضرب جذورهـا فى أرض عربية ، وتسلم - لا فروعها فقط ، ولكن كل ورقة منها - الى ما يزخر به العالم من وهج فكرى .

ومعنى هذا أن الجيل الحاضر عليه تبعة « تقليب » أرضه وتعريضها للشمس التى لا تخص مكانا دون مكان ، ثم عليه أن يلقى بعد ذلك البذور التى هى حبات قلبه فى هذه الأرض ، ومعنى هذا أيضا أن هذا الجيل هو جيل التحدى ، وأن عليه أن يصرف طاقة الغضب التى يحولها الى زملاء له فى سلاح الكلمة ، الى طاقة بناءة من أجل فكر جديد فى هذه الفترة من حياتنا ، ان البعض يريد أن يزيد من حدة الصراع فى الحقل الأدبى تحت شعارات غامضة وغريبة ، وقد ثبت فشل هذه التجربة فى المعركة التى تمت أخيرا تحت لواء الشعر ، كما ثبت أنه يمكن التعايش بين هذين الشكلين ، وأن كلا منهما يستطيع أن يثرى الآخر ويعمقه .

ومهما يكن من شىء فان المنصورة الآن وهى تقدم أسبوع **الفكرة البناءة** ، تقوم بعمل كبير حين تجمع بين مثقفى القاهرة ، وتربط صداقات بين وجوههم وأفكارهم ، فهم فى القاهرة لا تتاح لهم هذه الفرصة. ذلك لأنهم فيها يكونون جيوبا ينهش كل واحد فى الآخر ، فبالاضافة الى خصام أفكارهم قد تشتاق يد الى أن تهز يد زميل ، وقد تحب عينان أن تشربا من عينى صديق ، ولكن « **عملية الفرز** » الخاطئة التى تمت أخيرا تجعل كل واحد يهرب من فكر الآخر ، ومن عينيه ! وتجعل الجهود موزعة ، والخطوط الفكرية رفيعة وشاحبة ومتضاربة كالخطوط التى يرسمها جهاز لقلب مريض !

ومن خلال هذا نستطيع أن نقول هل فى استطاعة هذا البلد - **الذى جمعهم فى قلبه** - أن يقول لهم ان فى استطاعتهم أن يكونوا نهرا عميقا فى حياتنا الفكرية المعاصرة حين يحسنون الاصغاء الى بعضهم بعضا ، وانه يجب عليهم قبل كل شىء أن يتصالحوا مع حضارتهم العربية ، ويرفعوا من تحتها القنابل الزمنية التى تنفجر واحدة بعد الاخرى ، وأن عليهم الا يملئوا الانسان المعاصر بالقش والغبار وانما بالعزم والصبوة وحب الحياة ، اننا لا نقترح سلاما مستمرا ، فالحياة الأدبية لابد فيها من عنصر الاحتكاك والغضب ، ولكننا فقط نقترح اعلان « **هدنة** » مؤقتة، ننصرف فيها - الى حد ما - الى تراثنا مقيمين ، والى مراجعة ما فى رءوسنا من افكار ، والى محاولة وضع لبنة فى الحضارة العربية ، وفى استنبات أفكار جديدة بعيدة عن الوصاية. وليس معنى هذا مرة أخيرة اننا نرفض أن تطل النجوم على وجودنا ، ولكن معناه الا نحدق الا فى نجم واحد ما دامت أهدابنا قد شدت من فترة كبيرة اليه ، ثم ان ما نطالب به لا يزيد فى البدء عن «**خرم الابرة**» للحضارة العربية على أن يؤدى بنا هذا الثقب الى عوالم جديدة نفتحها بنور عيوننا ، لا بنور عيون الآخرين ، ولنجرب مرة واحدة - فى ظل هذه الهدنة المؤقتة - دخول هذا العالم بدون وصاية من حضارة بعينها ، أو حماية من سدنة هذه الحضارة .

اننا لو فعلنا ذلك نكون قد تلقينا من هذه المدينة « فكرة بناءة » تمس وجود كل منا ، ونكون قد وصلنا الى الاجابة عن السؤال الذى طرحناه فى أول هذا المقال ، والذى قلنا فيه :

هل يستطيع الأدباء الذين قدموا الى مدينة المنصورة أن يصلوا الى فكرة بناءة خاصة بهم ؟

فكرة للسياحة

لفت نظرى فى الحفل الذى أقيم للصحفيين العراقيين بوكالة الأنباء العراقية اعلان للتعريف بايوان كسرى ، تحت عنوان « طاق كسرى .. الطاق الذى بكاه البحترى » وقد كان التركيز فى الاعلان على سينية البحترى المشهورة ، وعلى تلك الأبيات التى يقول فيها :

لم يعبه أن بز من بسط الديباج
واستل من ستور الدمقس
مشمخر تعلو له شرفات
رفعت فى رءوس رضوى وقدس
ليس يدرى : أصنع انس لجن
سكنوه ، ام صنع جن لانس

عكست حظه الليالى ، وبات المشترى
فيه ، وهـــو كوكب نحس
فهو يبدى تجلدا ، وعليـــه
كلكل من كلاكل الدهر مرسى

وقد دار فى ذهنى : لماذا لا نهتم بتلك الآثار التى وقف عليها الشعراء العرب ابتداء من وقفة الشاعر ابو قبان بن نعيم على حصن بابليون ، وارســـاله الشعر ارسالا فى بناء المسجد الجامع او مســـجد اهل الراية ، الى وقفة احمد شوقى على كثير من الآثار فى مصر ، ولن يعتقد انـسان ان الشعراء قصروا فى هذا الجانب ، فهناك تلك الوقفة التى وقفها عيسى ابن شافع على «الدار المذهبة» فى مصر عام ١٣٢ هـ، والتى تعتبر وقفة البحترى على ايوان كسرى امتدادا طبيعيا لها ، كما لا تعتبر غريبة على وقفة الشعراء الطولونيين والأندلسيين على آثارهم •

ولن ننسى هنا الشعر الرقيق الذى يســـمى « شعر الأديرة » ، والذى أكثر الشعراء منه الى حد انهم كانوا يستوعبون كل مافى هذه الاديرة من خمر وسقاة، ونساء، وصور مقدسة، ومصابيح،ونواقيس، مع تحديد دقيق للمكان الذى كانت تحتله هـــذه الأديرة،وهى من الغزارة والشاعرية بحيث لايستطيع ناقد متصف الا أن يعترف لشعراء هذه الفترة ، وبتغيير مكانهم الذى وضعهم فيه النقـاد من فترة كبيرة عن عمد ، فهناك ما قاله مثلا فى دير القصير الشاعر أبو هريرة ابن أبى عصـــام (يتيمة الدهر جـ ١ ص ٣٦١) وما قاله ايضا فى هذا الدير الشاعر أبو الفتح كشاجم (ديوان كشاجم ص ١٩) وما قاله فيه كذلك الشاعر محمد بن عاصم المصرى (مسالك الابصار لابن فضل الله العمرى جـ ١ ص ٣٦٣) ، وقد كان هذا الدير مشرفا على رأس جبل قائم على النيل قرب حلوان ، وكان ما يفتن الشعراء دائما به صورة جميلة للسيدة مريم والسيد المسيح •

وهناك دير طمويه الذى خلده ابو عاصم المصرى، ودير مار حنا الذى كان لا يفارقه الشـــاعر العباس ابن البصرى الا ليـؤم ديرا آخر يسمى دير نهيـــا (والديارات لأبى الحسن الشابشتى ورقة ١٣٠)

وللشاعر محمد بن ابى الجوع ــ الذى أخلص للمتنبى فى فترة حضوره الى مصر ــ شـــعر ممتاز فى هذا الدير الاخير (الديارات ص ١٢٨) ومن الملاحظ أن هذه القصـــائد كانت تتنفس من خلالهـا الطبيعة المصرية ، وبخاصة النيل ، ثم يأتى بعد ذلك تنصيب الانـــسان الذى يجب أن يفتح حواسه على الحياة ، وأن يمد كلا ذراعيه الى أن يحس أن العالم بينهما •

ولعل الذى جعلنى أهتم بالكلام فى هذا الموضوع تلك النغمة الشيطانية الجديدة التى أطلت بقرنيها أخيرا فى احدى المجلات والتى جاءت بعثـــا لكلمة قديمة فى بلوتولاند وقصائد أخرى فقد جاء فيها .

« ••أما المصريون فقد كسروا عمود الشعر وعمود اللغة جميعا • ومن كان يرتاب فى أن الشعر العربى قد عاش فى مصر غريبا فليفسر لنـــا كيف عجزت مصر عن انجاب شاعر عربى واحد بين القرن السابع والقرن العشرين له خطره » •

فهناك عدد من الشعراء المصريين لهم خطرهم فى اطار عصرهم ، وفى الوقت نفسه يعتبرون متفوقين ــ اذا أحسنت دراستهم ــ على شعراء كثير من الدول العربية فيما بين القرن السابع والقرن العشرين ، ولكن لا أدرى لماذا تم الصمت عن هؤلاء الشـــعراء الذين يراد بالصمت عنهم أن يكونوا حجة على ضعف اللغة والعروبة فى مصر ؟ ولا أدرى لماذا تواتى الآن الفرصة لكثيرين لكى يقولوا ما يشاءون عن العرب والعروبة بغير دليل ، أو يتجاهل الدليل ، ان لكل انسان أن يقول ما يشاء من الآراء ، ولكن اليس من الواجب على من يطلق هذه الكلمات الكبيرة ان يكون قد رجع الى كتب التراث فى هذه الفترة المطبوع منها وغير المطبوع ؟

اننا لو فعلنا ذلك لكسبنا فكرة للسياحة ،وفكرة للتانى فى اصدار الأحكام ما دامت تتعرض لقضايا كبيرة ، وما دامت مصـــادر الادانة (التى لم يطبع بعضها الى الآن) لم تتوفر لدى الباحث ، ولكنهـــا الاستهانة بكل ما يمس الآن التاريخ العربى •• ترى لماذا ؟

« عبده بدوى »

رسالة العلم



نهر المعرفة يتدفق

للدكتور عبد الحليم منتصر

نعم : انه نهر المعرفة العلمية ، يجرى متدفقا فى بلادنا ، يضيف الى المعارف الانسانية جديدا ، وان روافد هـذا النهر ، لتتعدد وتتنوع ، وتحمل الى النهر أشتاتا من ألوان المعرفة العلمية ليس الى حصرها من سبيل ، وان طلاب البحث من شباب العلماء ، فى وطننا الحبيب ، ليزدهيهم الفخر ، بما انتجوا من نبضات الفكر ، ووقدات القريحة ، مقتحمين الصعاب ، مضحين بالنفس والنفيس ، فى سبيل العلم والوطن .

وانه ليسعدنا أن نعرض فى هذه الصفحات لهذا الانتاج العلمى الرائع ، من أعمال علمائنا الأماجد فى عام ، وهم الذين يرفعون من شأن وطنهم ، ويعلون من قدره ، بيجعلونه مواكبا فى ركب الحضارة والعلم، يحتذى أقدم الأمم عراقة فى ميدان البحث العلمى الأصيل فان هذه المئات من البحوث والرسائل والكتب التى نتناولها فى هذا الحديث لتدل دلالة أكيدة على تأصل روح البحث بين شبابنا ، وعلى انهم يسيرون قدما فى الطريق السوى ، غير عابئين بما قد يعتور طريقهم من صعاب ، وما قد ينادى به احيانا بعض الذين لا يعلمون ، من تشويه للاعمال العلمية وتفريق بين البحث العلمى البحت ، والبحث العلمى التطبيقى . اذ الواقع أنه لا غنى لأحدهما عن الآخر ولا يمكن أن يتقدم التطبيقى دون البحت أو البحت دون التطبيقى .

ولعلنا يحسن أن نذكر فى هذا المقام قول القائل : (انه اذا اضطرت البشرية يوما الى القنوع بالناحية العلمية التطبيقية للعلم ، فستعود الانسانية الى عصر اظلام مرة أخرى ما لم يوجد أناس يعكفون على البحث العلمى المجرد، والكشف عن النظريات والآراء العلمية الحرة ، التى تقدر العلم للعلم ، والمعرفة لذاتها) .

وليس من شك فى أن هذا الثبت الحافل من البحوث ليدل كفلق الصبح على مقدرة من يتولون قيادة هذه البحوث من الاساتذة ، ومن يعملون فى هذا الحقل من الشباب الذين يرتادون أصقاعه ، باحثين منقبين، يسكبون نور عيونهم فى صفحات الكتب التى يعبرونها من المنبع الى المصب ، يتجولون بين المصادر والموارد ، ويجوسون خلال المنابع والمصاب يقضون سحابة نهارهم وزلفا من ليلهم بين المعامل والمختبرات ، يعرضون عيونهم ونفوسهم ، الى مالا تشتهى أنفس او اعين من غازات وأبخرة ، ويحبسون عيونهم فى عوينات المجهر وعدساته ، يقيسون ويقدرون ويرسمون .. هؤلاء هم سدنة العلم حقا ، الذين تعلق عليهم البلاد آمالا كبارا فى النهوض بها ، ورفع مستوى الحياة بين ابنائها ، بزيادة مواردهم ،والاضافة الى ثرواتهم وامكانياتهم . فضلا عن الاضافة الى المعرفة البشرية ، وانه لشرف يبتغيه العلماء ،وتتفاخر به الأوطان .

ويتميز فيض المعرفة هذا العام ،بغزارة المادة وتنوع الانتاج ، مع العمق والأصالة والاحاطة ، وانه ليشمل

الناحيتين البحتة والتطبيقية معا ، معالجا مشاكلنا الزراعية والصناعية والهندسية والدوائية .

فضلا عن نشر العلم مبسطا ، ليزيد من أسباب الثقافة العلمية ، وبنشرها بين عامة المتعلمين ، بنشرها خالصة من تعقيدات الرموز والمعادلات ، وانها في الوقت نفسه مركزة ملخصة، وبذلك يتسنى للجمهور المثقف أن يتابع التقدم العلمي في مختلف الميادين ، وأن يتذوق الثقافة العلمية الرفيعة .

ومن الحق ان نقول : ان هذا الثبت من البحوث الذى نعرضه فى هذا الحديث ، لا يشمل كل الانتاج العلمى ، بسبب بسيط ، هو ان مراكز الانتاج العلمى من جامعات ومعاهد ، ومعامل ومختبرات ، ومراكز بحث ، ودور نشر ، لا تعنى بارسال نماذج من انتاجها الى مراكز التوثيق العلمى . أو لعل هذه المراكز الأخيرة ، لا تعنى بتتبع هذه المناشط وتلك الخلايا العاملة النشطة . فحبذا لو عنى القائمون بالأمر بتيسير المهمة والتعريف بما يقدمون وينتجون.

فهناك الكليات العملية التى نعنيها ـ أغلب الأمر ـ فى هذا الحديث ، قد تزايد عددها فى الجامعات المصرية، فى القاهرة وعين شمس ، والاسكندرية ، واسيوط، والمنصورة ، وطنطا . من كليات العلوم والطب ، والهندسة ، والزراعة ، والصيدلة ، والبيطرة ، وهذه اقسامها ذات النشاط العلمى المتزايد ، من كيمياء ، وطبيعة ، ورياضيات ، ونبات وحيوان وحشرات وجيولوجيا ، وهندسة الكترونية ، ومناجم وكيمياء صناعية ، وبترول وهندسة سيارات ، وايدروليكا ، وانشاءات ، واقرباذين ، وسرطان ، وطبيعة نووية وكيمياء كهربية وحيوية ، وبحوث ذرية وأراض الى غير ذلك من اقسام وتخصصات ليس من السهل تفصيلها فى هذا المقام .

وكذلك زاد عدد الباحثين زيادة هائلة ، وغدونا نملك ثروة ضخمة من العقول الباحثة المنتجة ، انها ثروة سائلة من المعرفة تموج فى رءوس هؤلاء العلماء، وعلينا ان نحرص وأن نعمل على تنميتها ، وأن نيسر سبل انتاجها ، وأن نعمل على الا يتوقف نشاطها ابدا ، والا تخمد جذوتها المشتعلة علما ونورا ومعرفة وان يبقى ضوؤها ساطعا وهاجا ، يعشو الى ضوئه كل راغب فى المعرفة .

وهناك الجمعيات والهيئات العلمية ، التى يشارك اعضاؤها فى هذا الانتاج العلمى الرفيع ، وان اعدادها ، لتتزايد هى الاخرى زيادة كبيرة ، ويكفى ان نذكر منها ، الأكاديمية المصرية للعلوم والمجمع العلمى المصرى ، والمجمع المصرى للثقافة العلمية ، والجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية والجمعية المصرية لتاريخ العلوم ، والجمعية الجيولوجية ،والجمعية النباتية ، والجمعية الصيدلية ، والجمعية الطبية والجمعية الهندسية ، والجمعية الزراعية ، والجمعية البيطرية ، وجمعية خريجى كليات العلوم ، والجمعية المصرية للصحة العقلية ، وجمعية الوراثة ، وجمعية علم الحشرات ، وجمعية علم الحيوان وغيرها وغيرها . وانها لتضم نخبة من اعاظم أساتذة العلوم ، ورواد البحث فى مصر ، وان انتاجهم ليدل دلالة أكيدة على أنهم يسيرون بسفينة البحث العلمى نحو شاطىء الأمان .

أما مراكز البحث فى الكليات، والمعاهد، والمركز القومى للبحوث ، ومعهد الصحراء ، ومؤسسة الطاقة الذرية والمصالح الفنية فى الوزارات ، فانها جميعا تزخر بالقائمين بالبحث ، وتيسر لهم سبله وتهىء لهم وسائله ، وهذه وزارة البحث العلمى التى أنشئت اخيرا ، لتنسق أمور البحث العلمى فى البلاد وتدبر ما يحتاج من نفقه ، تستحق التشجيع والتقدير .

من حق هؤلاء القائمين على شئون البحث والانتاج العلمى أن نتوجه لهم بالشكر والعرفان ، فهم أمل الأوطان فى ارساء قواعد نهضتها ، وانهم ليدعمون ببحوثهم أسس النهضة العلمية الصناعية والزراعية والطبية والهندسية والتعدينية ، وتعلق العروبة عليهم آمالا كبارا فى سد الحاجة من المتخصصين فى مختلف المجالات، سواء فى مصر أو فى الوطن العربى، والقارة الافريقية ، وفى مواكبة الركب العلمى العالمى، بما ينهضون به من بحث علمى أصيل ، يضيف الى المعرفة ويعلى من شأن مصر ذات الدور الطليعى ، وان مصر لفخورة بأبنائها العاملين العاملين .

فثمة رسائل للماجستير والدكتوراه ، تبلغ المئات عدا ، تتناول موضوعات علمية على اعظم جانب من الأهمية ، فدراسات للطقس وحشرات الموالح ، وبعض الأسماك والقواقع ، وتركيز خامات النحاس ، والمراريات ، والزيوت ، وتآكل المعادن ، والانزيمات، والحفريات ، والبيئة النباتية ، والمفرقعات النتروجينية والاشعاعات ، والمواد المشعة والنظائر ، وتلوث الهواء ، والكيمياء التحليلية للثوريوم واليورانيوم ،

والتحليل البلوري لبعض الخامات المعدنيــة ، ومدى صــلاحية بعــض الخامات المحلية فى صناعة الخزف والصينى ، ومدى صـــلاحية بعض خامات الكروم والمغنسيوم المحلية فى صناعة الحراريات والفيتامينات وفصل وتنقية الثوريوم من المونازيت المصرى وكيمياء البترول المصرى ، وطحالب المياه العذبة ، والاعفان المصرية ، والمضادات الاحيائية ٠

وهناك مئات من البحوث العلمية المبتكرة المنشورة فى المجلات العلمية المتخصصة ، مثل : البحر مصدر غذاء ، وشعاع الفا لصخور الأساس بمنطقة أسوان، وتأثير زراعة خلايا السرطان الكبدية على نشاط انزيم الفسفاتاز، ودراسةالأشعة السينية للتركيب المعدنى لبعض الرواسب الطينية من العصر الميوسينى بمنطقة عيون موسى بسيناء ودراســات بترولوجية لبعض التكوينات السيليسية فى العصر الطباشيرى الأعلى والايوسين من منطقة القصير ــ ســفاجه والتاريخ الجيولوجى لافريقيا ، وتوزيع جرعة الفسفور المشع ، والمحتويات الغذائية فى أسماك المياه العذبة والميــاه الملحة ، والمواد المثبطة للنمو ، وســوسة الحبوب المخزونة ، والمقاومة الاحيائية لمرض ذبول الطماطم ، ومبيدات الحشائش ودراسات بيئية بالصحارى المصرية تأثير ضغط الماء على صغار سمك البورى وامتصاص الفسفور بوســاطة بعض الخضراوات أثناء النمو بفسفور ٣٢ ٠

وثمة عشرات من الكتب العلمية المبسطة مثــل الكترونيات للجميع ، والأزهــار والثمار والبذور وأقرب الجيران الى الأرض ، والآلات ، والأرصــاد الجوية ، وصغار الحيوانات ، وأصل الأنواع وحدادة وتشكيل المعادن ، ومعجزات العلم ، وماذا بداخل الأرض ، وماذا بداخل الحيوانات ودنيا العلم العجيب، والطريق الى الفضاء ، وكل شىء عن الطيور ، ودنيا الحشرات ، وحياة النمل والبراكين والزلازل والنجوم والثعابين ، والتدييات ، وعالم الأفلاك والثروة المائية فى الجمهورية العربية المتحدة ٠ وتربية دودة القز ، والميكروبات والحياة ، وأصواف الأغنام ، والقمر ٠٠٠ الخ ٠

وهناك عشرات ومئات من المحاضرات العامة ، التى ألقيت فى الجمعيات والمؤتمرات العلمية المحلية ، وانها لتتناول دراسات وبحوث علمية قيمة تعنى بمشكلاتنا العلمية ، والصحية ، والزراعية ، والهندسية ٠

وبعد : فاننا اذ نسجل بالتقدير هذا الانتاج العلمى الرفيع لنرجو لجميع القائمين على نهر المعرفة مزيدا من النشاط ، ليتابع النهر تدفقه وفيضانه ٠

« د ٠ عبد الحليم منتصر »



الكتب نقد وتعريف

بقلم : محسن بن عبد الحي

عبقرية العقاد

تأليف : عبد الفتاح الديدي

يعد المفكر الجليل الأستاذ **عباس محمود العقاد** صورة من صور الكفاح الذي ارتسم على جبين الأمة العربية منذ مطلع هذا القرن حتى الآن . هو في الواقع نمط من أنماط القوة والخصب العقلي في شعبنا العربي ..

ولقد كانت نظرة العقاد في كتابته للسير نظرة انسانية محضة ؛ وذلك ضمن نزعته الانسانية الواضحة في كل مواقفه الفكرية والأدبية . فعندما كان يحاول استشفاف مفتاح شخصية صاحب السيرة أو صاحب الترجمة الشخصية كان يعمد الى تسليط الأضواء الانسانية على جميع جوانبه حتى يرى عنصر الأصالة في روحه وعبقريته .. وفي رأيي أن مؤلف الكتاب هو احد أولئك الذين تتلمذوا على العقاد بعمق وأصالة ؛ وقد استخدم منهج أستاذه العظيم عندما كتب عنه هذا الكتاب .. فنحن نرى هنا صورة العقاد المفكر الأديب والمناضل الانسان من خلال مواقف طبيعية وتحليلية لنفسيته التي طبعت على العظمة والرقة ؛ وعلى القوة والضعف البشري .. ولم ينس المؤلف أن يذكر لنا جوانب هامة من أسرار حياة العقاد الحافلة .. ذكر لنا فكاهاته وغرامياته وعلاقاته النسائية من خلال تحليله لشخصيته الفريدة .. والكتاب بهذا المعنى يعتبر نوعا جديدا من الكتب التي تكتب في سيرة عظمائنا - حيث لا يرى الكاتب في ذكر جوانب الضعف والممارسة الطبيعية للحياة البشرية والانسانية شيئا ينقص من قدر من يكتب عنه .. بل يزيده عمقا واحساسا بالحياة .. لقد سارت تراجمنا حتى الآن في نطاق منهج واحد لا يتغير وهو « اذكروا محاسن موتاكم » ولهذا خرجت هذه التراجم خالية تماما مما يمكن تسميته بالصور الخلقية لحياة عظمائنا - وصفاتهم الانسانية .. ومن ثم كان الجديد في هذا الكتاب هو طريقته الجديدة في العرض والتحليل الذي لم يشأ المؤلف فيه أن يخص العقاد بمفتاح شخصية واحد في كل المجالات لكي يقيسه عليه - بل استطاع أن يعدد من هذه المفاتيح وذلك وفقا للتعقيد الشديد في شخصية الأستاذ والتناقض القوي بين مواقفه .

يقول المؤلف : لقد صال العقاد وجال في أكثر من مجال من مجالات الفكر حتى ثار عليه المتخصصون ؛ ولم يرض عنه أصحاب الدرجات الجامعية ، وكانت عبقريته خلاقة بمعنى الكلمة ، كما كانت عقليته - من تلك العقليات المتفتحة لأكثر من فن واحد ، انه من جيل المفكرين الذين لم يتركوا مجالا من مجالات الفكر الا طرقوه واستوفوا أصوله وقواعد بحثه وعرضوا له بالتحليل والدراسة وسجلوا بعد ذلك آراءهم فيه . ولم يعد هذا النمط من الأفذاذ موجودا في العصر الحاضر ولم تعد أحوال الحضارة المعاصرة تسمح بظهور مثل هؤلاء الرجال لقد أفلت العقاد في غفلة من الحضارة .

ووقف العقاد بعد موته كعلامة مثبتة على جانب الطريق الطويل في دنيا الثقافة والفلسفة والشعر . وصار علامة تشير الى مقدار حيوية اللغة العربية وشباب الفكر العربي ورقي وحضارة العرب ؛ ولم يستطع أحد أن يبلغ هذا المدى في تاريخ الاسلام والعروبة ؛ ولم يعد من الممكن أن توصف لغتنا بالعجز عن أداء معنى من المعاني أو بالقصور في مضمار الفكر أو الفلسفة أو الصحافة أو السياسة .

لقد صار العقاد أكبر مدافع عن مكونات الأدب والفكر والثقافة والعقيدة المرتبطة بأرض العرب وسخر قلمه وعقله ومنطقه لدفع كل ما يمس هذا الكيان بسوء بطريقة منهجية كما اوقف كل جهوده على بث روح الايمان والثقة فى نفوس ابناء العربية واخذ على عاتقه مهمة ايقاظ المشاعر وانهاض الهمم لدى الشباب الحائر الموزع الأحاسيس فكتب فى المسائل الدينية وجعل الايمان بالاسلام فضيلة يتباهى بها المرء وجعل الانتماء الى العروبة ميزة تعلو على كثير من مميزات الأجناس والجماعات الاخرى ذاكرا المبررات لهذا كما جعل العقاد من نفسه المدافع الأكبر عن كل العداوات التى تهدد كيان العروبة وحضارة العرب وفلسفة الاسلام ، ودافع العقاد عن كل مظهر من مظاهر الفكر العربى وسار سهلا ميسرا بالنسبة اليه أن يتعرض لأقوى النظريات المعارضة فيدحضها بمنطقه القوى وحجته الناصعة . ولم يخش العقاد قط أن يبين عيوب النظريات مهما كانت درجة أصحابها وخطورتهم . وبهذا الموقف الفلسفى استطاع ان يضيف شيئا ذاتيا أصيلا فى كل رأى وفى كل فكرة. وبهذا تكونت نواة الفكر العربى المعاصر — وكان هذا الحماس فى مؤازرة الفكر العربى ومظاهره هو مصدر الجمال فى أسلوب العقاد وحرارته فى الكتابة والشرح . ومع ذلك يمكن القول بان السر الحقيقى يكمن فيما يضفيه العقاد على عباراته من الشاعرية حيث كان نصيبه من الشاعرية كبيرا حتى بلغت به مبلغ التصوف ولم يكن العقاد ينكر تصوفه ونزوعه الى عالم الروح .

وقد صدق العقاد واخلص فى كل المواقف وفى كل اتجاهات التفكير التى مر بها ونستطيع أن نرى الوفاء صبغة لم يخل منها قط موقف من مواقفه حتى فى اشد الهجمات النقدية عليه . واذا كانت فكرة الارادة هى مفتاح شخصية العقاد فى فلسفته فان الشعور بالوفاء هو مفتاح شخصيته المفكرة .

وتعرض العقاد لنقاط كثيرة فى فلسفات سارتر والبير كامى وأحس بأن هذه الفلسفات تحمل بذور الألم ووساوس الخوف وملامح الحزن والتشاؤم. فعارض جوانبها الانهزامية وأبرزمافيها من مواقف الجدية والسمو ولم يعرف أى تردد أو حيرة امام مذهب من المذاهب مهما تعقد أو خرج عن المألوف. وناقش المفكرين فى العالم اجمع مناقشات حادة .

ومفهوم العقاد للاشتراكية كما يراها مفهوم واضح مرن مستخرج من طبيعة البيئة ذاتها قبل أن يكون نظاما اجباريا « ولهذه الاشتراكية فى رأيه — أو لهذه الاشتراكيات على الأصح — عشرون تطبيقان على نحو واحد. اذ أن كل أمة يناسبها نظامها الحكومى وظروفها الاقتصادية وعلاقاتها الخارجية التى لا تناسب أمة غيرها . ولا يزال كل تطبيق من هذه التطبيقات قابلا للتعديل بين عام وآخر الى غير أمد ممدود » .

ويشرح العقاد فكرة الاشتراكية الأصيلة فى العدل والمساواة — من وجهة نظره فيقول :—
« وانما المساواة شرف حين ترتفع بالادنى الى ماهو أعلى منه وحين تعطى الرفيع حقه وتابى عليه ان يجور على حق غيره وحين تكون انصافا للعاجز لانها تستنهضه الى القدرة وانصافا للقادر لانها تكافئه على المزية ولا تعاقبه عليها بحرمانه من جزائها »

ولقد أحب العقاد الحياة حبا ملك عليه فؤاده ولبه ولذلك اعطاها حقها من الاهتمام الذى اولاه حشرات الأرض وسكان الفضاء . والعقاد الذى طالما نزل المعارك والمناقشات وتصدى للنقد فى عنف كان يشعر فى حنايا قلبه بالتأثر الشديد والضعف الحاد أمام مآسى الناس واحزانهم .

ومر العقاد بثلاث تجارب من أعمق تجارب الحب .. واستطاع المؤلف أن يستخرج من اشعاره ثلاث نساء احبهن العقاد حبا قويا لايشابه الانفعالات العابرة . فكانت عواطفه فى حبه الأول وفى حبه الثانى مشبوبة حادة ولكنه كان أقرب الى الفتور خلال حبه الثانى . وقد أزعجته تباريح الهوى أحيانا حتى جعلته يبلغ أقصى آماد السخط والغضب واشتد به الشوق والولع بصديقاته حتى عرف الفزع والقلق والسهاد . وحاول أن يكون جريئا فى تجربته الثالثة وان يكتفى بارضاء مشاعره ونزواته ولكنه لم يستطع أن يكف عن الانشغال باكثر مما تقتضيه مجرد الصداقة والحب .

وهنا أفلت منه الزمام فسب ولعن حتى بلغ به العمر سن المحب الرقيق الرقيق فتنازل عن كبريائه وقبل أن يصبح طرفا فى حب لا يفرض على صاحبته الوفاء لأنها كانت قد أصبحت فى مذاقها أحلى من الوفاء .

ولقد حارب العقاد بضراوة كل أنواع الاستغلال الحزبى والملكى — حتى اتفقت الاوامر الملكية واوامر

حزب الوفد بعد سنة ١٩٣٦ على محاربة العقاد في رزقه ومنعت اى ناشر او بائع كتب ان يضع عنده نسخا من كتاب **سعد زغلول** فالف العقاد **سـارة** واشتغل بالكتابة الصحفية بالحد الذى سمحت له به الظروف في سنتى ٩٣٦ و ١٩٤٠ كما اعتمد على بعض أصدقائه وتلاميذه في بيع نسخ من كتبه . وكان ينتظر ثمن النسخة من أجل الغداء والعشاء اليومى . واحتمل العقاد الموقف على مضض وهو يحاول اظهار حالات رخائه لاعدائه بالكتابة في مشاكل الحب وفلسفة الجمال . وظل حينئذ أستاذنا **الزيات** يفسح له صفحات الرسالة غير آبه باوامر الوفد او اوامر القصر **واحتفظ العقاد للرسالة** ولاستاذنا الزيات بهذا الجميل الى آخر أيام عمره .

وكانت المرارة هى الأثر الوحيد الذى تركته في قلمه حياته العاتية المليئة بالزوابع والاعاصير . وعكس في هذه المرارة احساس أمة باكملها . فلم يرفض الحياة ولم يقبل الانهزام . ولكن الحياة نفسها لم تدعه يقدم في طريقه الطويل بغير أن تدمغه بطابع من طوابعها . أدخلت في عالمه هذا الطعم المرير في هدوء . وجعلت دنياه مصبوغة بالاشتهاء المحروم ، علمته معنى الالم بصنوفه وشتى ألوانه . وأودعته سرها الكبير دون أن تثبط منه عزمه أو أن تشل حركة قلبه . وصارت الازمات في حياة العقاد ضرورة يتوقعها كما يتوقع طلوع شمس النهار في اليوم التالى . وصار لا يتخيل لحظة من لحظات حياته بغير مصاب أو حزن . ولم يلبث الوجود المحزون المليء بالصعاب والازمات أن أصبح هو القاعدة وأفراح الحياة هى الاستثناء .

ولكم كان العقاد حريصا على دعوته الاسلامية ولكنه كان أيضا حريصا على أن نعرفه كانسان قبل كل شيء . وستظل انسانيته مع ذلك نمطا رفيعا لا يعلو الى جواره نمط مما عرفناه حتى اليوم .

وستعلو هذه الانسانيـــة بمقدار ما نجلوه من صفحاتها التى لا تعد ولا تحصى .

وستزداد أبعاد مشاعره عمقا في أنظارنا كلما تلمسنا ذكراه .

والقدر الذى حبا العقاد بهذه الحياة الحافلة سيجعل موته أروع تجربة في تاريخ أبناء هذا الجيل . بل سيجعل اسمه أقدس لحن في تاريخ الوطنية والاخلاق والفكر والفن . وسيكون دائما عنوانا لاعنف معركة انتصر فيها ابن من أبناء بلادنا على قوى الرجعية والاستعمار وعلى قوى الشر والجحود على قوى التخلف والجمود وعلى طبيعة الحقد والنكران . وسيبقى صرير قلمه أجمل أنشودة عرفتها البلاد .

فارس الأمل
تاليف حسن فتح الباب
الناشر مكتبة الانجلو

يحتوى الديوان على اربع واربعين قصيدة كلها من الشعر الحديث .. وقد كتبها المؤلف على فترات متفاوته وجمعها في هذا الديوان الذى يقع في ٢٦٩ صفحة من القطع المتوسط . وقدم للديوان احمدلطفى ومحمدالبخارى وقلامن الديوانوالشاعر.. « يتميز البناء الشعرى في قصائد فتح الباب بقسمات واضحة فالبناء» عنده دائما بناء درامى فيه تفاعل وحركة ونبض ، يأخذ طابع الملحمة العاصفة ، أو القصة القصيرة الوادعة، ويزخر بالحوار وبالترديدات وتقطيع المشاهد أو المزج الانتقال فيما بينها .

صراع بين الحق والباطل
تاليف سعد صادق محمد
الناشر مكتبة السنة المحمدية

يحتوى الكتاب على دراسة وافية للبدع والمفاسد المنتشرة في حياتنا الدينية ويعرض لنا في نفس الوقت طائفة من الحقائق الدينية التى لايؤمن بها أحبار التصوف وطائفة من البدع التى يقدسها كهان التراث الصوفى . الذين يقفون حائلا دون فهم الناس لحقيقة الدين الاسلامى وتعاليمه السامية .

ويقع الكتاب في ١٦٢ صفحة من القطع الكبير .

تدريس التاريخ
تاليف : هنرى جونسون
ترجمة وتقديم : الدكتور ابو الفتوح رضوان
الناشر : دار النهضة العربية

مع التسليم بوجهة نظر التاريخ قديما من حيث اهمية الابطال والقادة والزعماء ، فان فلسفة التاريخ الجديدة تسلم باهمية الشعوب وتنسب اليها احداث التاريخ الهامة ، فالشعوب هى التى صنعت التاريخ وتصنعه . بل ان هذه الفلسفة تذهب الى أن البطل والزعيم والقائد ليس في نفسه الا ظاهرة اجتماعية ، فلا خير في زعيم ولا وهو جدير بهذا الاسم ولا أمل له في النجاح الا اذا كان هذا البطل ممثلا لأمة ، والا اذا كانت سياسته واقواله تعبيرا عن ارادة الشعب . ومع التسليم مع فلسفة التاريخ القديم بان ثقافة كل جماعة هى أعز من مقدساتها ، وانهذه الثقافة تتمثل في ماضى هذه الجماعة ، وأن للماضى حقا على أهل الحاضر فان فلسفة التاريخ الجديدة تؤمن بان الثقافة والماضى وما ينعطف عليهما ليستجامدة ولكنها متطورة ،بلان تقديسها عونبقائها حية مناسبة للعصر من طريق تطويرها تبعا لحاجاته ، ومشكلاته . وان طريقة وفاء أهل عصر بحق ثقافتهم وماضيهم عليهم هى في دفعها قدما في معارج التطور الى اعلى ، اى في معارج التقدم.وعلى اساس هذه الفلسفة فان التاريخ ليس بحث الماضى أو تصويره، ولكن القاء اضوائه على الحاضر بقصد معرفة كيفية حدوثه،وتوضيح اصول مشكلاته ، وطريق تطويره وتحسينه . اى ان التقديس ليس للماضى فقط ، ولكنه للجماعة وهى كائن حى يرتبط فيه الماضى بالحاضر وبالمستقبل في عملية تاريخية واحدة .

وهذا الكتاب الذى يقع في ٤٩٥ صفحة من القطع الكبير .. يبحث في كيفية معالجة علم التاريخبحيث يكون أداة ناجحة في تقرير كل ماتقدم من الاهداف والاتجاهات . وقد سار مؤلفه على طريقة تقرير الفكرة او الراى ثم يتبعها بالطرق العلمية لكيفية تطبيقها .

« **تحسين عبد الحى** »



قراءات في المجلات العربية

يقدمه محمد العوانى

•منظمة التحرير الفلسطينية :

نشرت « النيل » السودانية فى عددها الصادر فى ١٩٦٥/٥/٧ بيانا لمنظمة التحرير الفلسطينية ببيروت وجاء فى مستهل هذا البيان أن هذا العام « يتميز بالنشاط المحموم الذى تقوم به قوى الاستعمار العالمى جنبا الى جنب مع الصهيونية العالمية متمثلة فى العصابة الاسرائيلية ، وكل يوم يمر تتكشف لنا جوانب جديدة من جوانب المؤامرة الرهيبة التى تعدها هذه القوى مجتمعة للقضاء على الحركة العربية المباركة التى ظهرت بوادرها جلية واضحة ، وتجددت معالمها بالقرارات التى اتخذت فى مؤتمرى القمة والتى تهدف الى توحيد الصف العربى للقضاء على النفوذ الاستعمارى فى جميع الاقطار العربية والوقوف صفا واحدا فى المعركة المصيرية التى تخوضها الامة العربية للقضاء على القاعدة العدوانية التى أقامها الاستعمار فى الجزء المغتصب من وطننا الحبيب فلسطين .

وأشار البيان الى أن من واجب الامة العربية تجاه هذه الاخطار التى تحدق بها أن تسخر جميع الطاقات البشرية والمادية فى معاركها السياسية والعسكرية ضد الاستعمار والصهيونية ، وأن تحدد موقفها من الدول الاستعمارية التى خلقت اسرائيل ولا تزال تساندها وتقف معها وتقدم لها جميع المساعدات ، فعلى الامة العربية كما جاء فى البيان « أن تشهر سلاح البترول، وهو أقوى الأسلحة العربية فى وجه كل دولة تصمم على الوقوف بجانب اسرائيل ..وأن تتيقظ جيدا للمحاولات اليائسة التى يبذلها الاستعمار العالمى الرامية الى فتح عدة جبهات فى الوطن العربى لتحويل الجهود اليها والحيلولة بيننا وبين تركيز كل طاقاتنا وقوانا للمعركة الرئيسية » .

•جذور الاشتراكية .

نشر الدكتور عبد العزيز الدورى فى مجلة « الاقلام » العراقية عدد ابريل ١٩٦٥ بحثا عن الاشتراكية بين فيه أن محتوى الثورة العربية فى الحقل الاجتماعى والاقتصادى يمثل جانبا حيويا لهذه الثورة ، وأن هذا المحتوى يتمثل فى الاشتراكية العربية، لأنها تمثل مفهوم العدالة الاجتماعية بمعناه الواسع فى المجتمع العربى الجديد .

وشرح الباحث الادوار التى مر بها التاريخ العربى فوضح ان المجتمع العربى الاسلامى كون حضارة تتمثل فيها عبقريته ومفاهيمه ، وأدق ما فى أية حضارة ، الروح التى تتخللها ، والقيم والمثل التى تعتز بها .. لقد وجدت أوليات هذه الحضارة فى الاوث الثقافى العربى القديم وهو ارث عريق يعود لأكثر من الفى سنة قبل الميلاد ، ويشارك فيه وادى الرافدين واليمن وسورية ومصر ، وقد مر النشاط الحضارى العربى بفترات من الازدهار والركود ، لكن مناطق نشاطه تمثلت قبيل الاسلام فى شبه الجزيرة العربية وجنوبها ، وأوضح مظاهره اللغة

العربية والشعر العربي ، وكانت له أصول قديمة في التوحيد على الرغم من طغيان الوثنية في هذه الفترة، ورأى العرب فيه منطلقا لبناء حضاري .

• حرب على الامية :

مما لا شك فيه أن انتشار الامية يعتبر عقبة تعترض طريق التقدم الاجتماعي والاقتصادي لذلك فاننا نجد كثيرا من المؤتمرات التى تعقد بين وقت وآخر لبحث مكافحتها وأشارت مجلة « رسالة المعلم » التى تصدر عن وزارة التربية والتعليم فى الاردن الى أن من هذه المؤتمرات التى عقدت مؤتمر الاسكندرية الذى عقد فى اكتوبر ١٩٦٤ ، كما عقدت مؤتمرات أخرى فى بلاد كثيرة كلها تهدف الى التخلص من الامية والعمل بكل ما أمكن على محوها وازالتها ويقول «عبد اللطيف عابدين» فى هذه المجلة اننا نحن العرب لنا من ماضينا المجيد ما يحتم علينا القضاء على هذه الامية حتى يكون حاضرنا امتدادا مقبولا لذلك الماضى الخالد . واضاف «ان شوارع قرطبه كانت تضاء ليلا بالمصابيح،حين لم يكن فى لندن مصباح واحد ، وأن اطفال العرب فى الاندلس من بنين وبنات كانوا يتعلمون الجغرافيا على كرة أرضية مجسمة ، فى الوقت الذى كان فيه الاربيون يحرقون كل من يقول ان الارض كروية » .

لعل فى تاريخنا هذا ما يدفعنا الى أن نعمل جاهدين على نقضى على هذه الامية البغيضة التى هى احدى معوقات تقدمنا الحضارى . وبالمناسبة فاننا نوجه التقدير لما أصدره الدكتور عبد القادر حاتم من قرار ينص على أن يقوم بعض موظفى وزارته بمكافحة الامية فى محافظتى الجيزة والقليوبية .

• بيعة :

وفى «النيل» الصادرة فى ١٩٦٥/٤/٣٠ وفى الصفحة التى يشرف عليها مكتب الفكر العربى بالخرطوم كلمة حدد فيها كاتبها الرسالة التى من أجلها أنشىء هذا المكتب وجاء فى هذه الكلمة انهم يدعون لدراسة آثار الفكر العربى عبر التاريخ وابراز دوره فى بناء الحضارة الانسانية والفكر الانسانى .. يقول : نحن ندعو للثقافة العربية فى كافة مجالاتها ليس فحسب فى ميدان الشعر والنثر ، ولكن أيضا فى ميادين العلم والاختراع والاكتشاف والفلسفة والفن الحربى العربى .

هذا الايمان بالفكر العربى وبالكينونة العربية ، هو الذى وسع رقعة الدول العربية الاسلامية واخرجها من جزيرة العرب وسيرها من سهول الصين شرقا الى بساتين الاندلس غربا .

لقد سادت اللغة العربية بفضل القرآن وأصبحت تربط بين مختلف شعوب الدولة الاسلامية .

ان لغتنا العربية وثقافتنا العربية هما مظهر سيادتنا وعزتنا وهما ضمان بقائنا وخلودنا فمن الذى يستطيع أن يمنعنا سيادتنا وعزتنا وبقاءنا وخلودنا ؟

• الموشحات الأندلسية :

نشرت « الثقافة » بحثا للدكتور جوده هلال فى العدد السابع والتسعين عن الموشحات الاندلسية ، مهد فيه بالحديث عن نشأة الدولة الاموية وبين أن « قرطبة » كانت مركز الثقل الحضارى فى القارة الاوربية ، لما سادها من جو حضارى انسانى شفاف ، ولما كان يتمتع به الامراء الامويون من حصافة وبعد نظر ، فقربوا الطوائف وأزالوا أسباب الخلاف الذى ساد جو الجزيرة الاندلسية ردحا من الزمن قبل الأمويين .. وعاش أهل الاديان الاخرى فى أمان ووئام ، وكفلت الدولة حرية العقيدة لمواطنيهم من النصارى الذين كانوا يؤدون طقوس عباداتهم تحت أبراج الكنائس ودور العبادات .

ونقل الباحث نصين لابن بسام وابن خلدون يؤكد بهما أن أول من صنع أوزان الموشحات الاندلسية هو « مقدم بن معافى القبرى» ويختم بحثه موضحا أن الموشحات والازجال ينتميان الى فن شعرى واحد . ولكن الموشح تراعى فيه قواعد اللغة ويطلق على الفصيح، أما الزجل فيطلق على السوقى الدارج ، اذ الاصل فيه أن يكون فى اللغة الدارجة ، وهو فن العامة بالاندلس وفيه نظمهم ، ينظمون على سائر البحور الخمسة عشر ، لكن للغتهم العامية ، لأنه كان يتغنى به فى الطرقات وينشده المنشدون من الجائلين والمتسولين بصوت جهير وسط جمهور من الناس .

« محمد العوانى »

البريد الأدبي



حول كتاب قصة الايمان

فى جلسة مع الاستاذ نديم الجسر مفتى طرابلس (لبنان) وجدت فى وجهه الرضى . وفى لسنه التهلل وهو يقرأ خطابا من الدكتور عبد الحليم محمود عميد كلية أصول الدين . كان الخطاب يقول :

فان كتابكم « قصة الايمان » يتمثل فيه أسلوب الأديب ومنطق الفيلسوف ، ووجدان المؤمن •

فمن أجل ذلك قررنا منذ بدء العام الدراسى ١٩٦٥/٦٤ ــ أن يكون فيه امتحان القبول للدراسات العليــا « شــعبة العقيدة والفلسفة » ثم قررنا أن يكون فيه امتحان القبول فى شــعبة العقيدة والفلسفة وشعبة الدعوة والارشــاد لعام ١٩٦٦/٦٥ ــ واعلنا ذلك للطلبة فى اول ابريل سنة ١٩٦٥ حتى يتساح لهم الوقت الكافى للاستعداد •

وانه ليسعدنا أن نعرفسيادتكم بذلك تقديرا للعلم واهله • والله يجزيكم عن الدين خير الجزاء •

ما اجمل ان يلقى مفكر التقدير بعد ان يعانى ، ثم يخرج الى الناس وفى يديه اللؤلؤ . ومما لا شك فيه ان كتاب قصةالايمان يحمل بين دفتيه اللؤلؤ . فصاحبه كمفكر اسلامى ، وكشــاعر مرموق ، يستحق أن يعرف فى بلادنا •

كفاح الشعب المصرى فى الشعر العراقى المعاصر
بقلم عبد الخالق عبد الرحمن (بغداد)

لم تكن هناك اقليمية عند العرب فى الأدب بمنظومه ومنثوره، او فى العلم ، فالعرب اليوم يشــعرون انهم عالم واحد وانهم يكونون وحدة عامة مشتركة ، تغزو ميادين العلم والفلســفة والأدب ، وتتميز بطابعها الخاص وهو الوحدة العربية التى اصبحت امنية كل عربى يغار على امته ودينه ووطنه ، وان توحيد جهود العرب كما قال الرئيس جمال عبدالناصر لهو (الدرع الواقيةالتى تحمى مصر وتحمى سائر الدول العربية من مؤامرات المستعمرين واطماع الطامعين) •

وفى هذا العصر بالذات تربط العــرب رابطة الادب التى لا انفصام لها فلا فرق بين اديب مصرى وسورى وعراقىولبنانى ومغربى ، فالعرب كانوا وما زالوا قديما وحديثا يربطهم عالم واحد فى العلم والأدب والثقافة ، فاذا ماجار شاعر فى العراق تردد صدى شعره فى القاهرة ودمشق وبيروت وتونس ، واذا ما حدثت حادثة فى مصر تردد صداها فى العراق ، فانه على الرغم من القيود التى كانت مفروضة فى عام ١٩٥٣ على الشعب العراقى وقتذاك ، فان اسم الرئيس جمال عبد الناصر كان يتردد على كل لسان ، لانه رمز العزة والكرامة والسيادة العربية وعندما نذكر عام ١٩٥٣ يتبادر الى اذهاننا حكم العراق وقتذاك من قبل نورى السعيد وجلاوزته ، وعبد الاله وبطانته ، ومع ان الأفواه ، كانت تكمم ، والأحرار كانت تطاردهم السلطات الحكومية وتزج بهم الى المعاقل والسجون ، نرى الشاعر العراقى جميل احمد الكاظمى تهزه الأحداث فيطلع علينا بقصيدة رائعة تقارب الثلاثة والثمانين بيتا نشرت وقتذ فى جريدة (النداء) البغدادية ، وفيها يصور كفاح الشعب المصرى خلال سبعين عاما ، والشعب المصرى يثور للكرامة الذبيحة ويثار للعروبة الجريحة حتى تنقشع الســحب وتتبدد الظلمات • وفى هذه القصــيدة تلتمع المعانى المبتكرة ، وتجول فى ثناياها الأحاسيس المرهفة ومطلعها :

عهــد لولاه الكفاح عديدا
ما ان لوت فيــه الكنانة جيدا

سـبعون حولا كم طوت ايامها
مما تخــلد انفا وجهــودا

تلك الضحايا الغر ملء بطاحها
شرفا تعفر بالتراب خــدودا

وتتجلى روعة هذه القصيدة بهذا الاستهلال المجيد الذى يشيد فيه الشاعر الكاظمى بكفاح مصر العتيد ، وهو الكفاح الذى عانت منه مصر ما عانت خلال قرن مضى ، ففى القرن التاسع عشر كانت الدولة العثمانية تسير بخطوات حثيثة نحو نهايتها المحتومة وهى

تكاد تلفظ انفاسها الاخيرة ، وكانت فرنسا وانكلترا تتنافسان في احتلال مصر وشمال افريقيا ، وكانت فرصة سانحة لهما لاحتلال فلسطين وسورية ولبنان والعراق ، واهتبلت بريطانيا الفرصة لنشر نفوذها الاستعماري اقتصاديا وسياسيا في البلاد الاسلامية الاخرى .

في هذا الوقت بزغ نجم طائفة من الرجال المخلصين والقادة المحنكين ، ووقفوا في وجه الاستعمار الذي حشد امكانياته للقضاء على العرب ، وفي مقدمة هؤلاء عبد القادر الجزائري في شمال افريقيا ، واحمد عرابي وعبد الله نديم ومصطفى كامل في مصر وعبد الرحمن الكواكبي في سورية ، وكان ممن رفع راية الاصلاح جمال الدين الافغاني ، ومحمد عبده ، وقاسم امين ، وهنالك كان فريق ممن نهض بخدمة العلوم والآداب في الشرق العربي مثل رفاعة الطهطاوي ، ومحمود سامي البارودي ، وعلي باشا مبارك وناصيف اليازجي وغيرهم .

ويشيد الشاعر جميل الكاظمي بالاقلام الحرة الثائرة التي اججت نار النضال الخالد فيقول :

وصرير اقلام الصحافة نغمة
منها ترى ما يستزيد نشيدا
نغم يردده الزمان وآية
في الحق يوليها النضال خلودا

ويستمر الشاعر في تقدير كفاح الشعب المصري خلال السبعين سنة الماضية التي لم تطو فيها بنود الكفاح المنتشرة فوق المدافع المصرية، والأسنة المشرعة فلم يتقهقر ويتراجع عن مطالبه الشرعية، وحقوقه المغتصبة ، فالشعب المصري من الشعوب الحية التي تابى ان تهان كرامتها ، او تهدر عزتها ، او تدنس ارضها ، وهو يتجلبب بزرود الايمان وحلقاته الفولاذية ، وانه لتصوير رائع وصورة حية لرينا معنى النضال ، ومعنى الكفاح في سبيل نيل الحرية في غضون تلك السنوات العجاف التي وقف فيها الشعب المصري كالطود الأشم الذي لا تزعزعه هوج الرياح :

سبعون حولا ما عرفت مدارها
الا عوادي ماطوين بنودا
فوق المدافع والأسنة شرع
حول الحمى والمرتدين زرودا
حلقاتها الايمان الا انها
في الحق فولاذ يبيد قيودا
اكبرت ذيالك النضال وشاوه
صعب المدى اني استطال حدودا

وهن ثم يستمر الشاعر جميل احمد الكاظمي في قصيدته التي يطول بنا الوقوف عند معانيها الرائعة ، وديباجتها الساحرة التي تفنن الشاعر في حسن التخلص والتنقل فيها من صورة الى اخرى ، وهو يتدرج في تسلسل حوادثها المتصلة الحلقات دون ان يشعر القارئ بكلل او ضجر ، بل تستهويه براعة الشاعر في انتقاء الكلمات ، وجزالة اللفظ ، وحلاوة الجرس ، حتى يقول :

امد يطول وفي المدى اشواطه
شطت على حد الكفاح بعيدا

ومن ثم يصف ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وكيف وثب الرئيس جمال عبد الناصر وصحبه وهم يزارون كالأسود الثائرة وقد حماهم جيش مصر ، بل الشعب المصري باجمعه فقضى على ذلك العرش وانهارت قوائمه ، وتبعثرت عقود التاج المتلألئة ، وهو الذي كان يحوي في غضونه الداء الدفين فيقول :

حتى اذا آن الأوان توثبت
همم الأسود لتستقل جهودا
زارت فكانت حد ثورة ثائر
دوى العرين وقد حمته جنودا
وتناولت تاج المسيطر عنوة
حتى تفرط لؤلؤا وعقودا
وقضت على رب السرير وحطمت
عرشا حوى الداء الدفين عتيدا

ومن ثم يلعن الشاعر ذاك العهد الذي ولى دون رجعة ، عهد المطامع والزلفى والرياء فيقول :

لا عاد ذاك العهد بعد ذهابه
حيث المطامع البسته برودا

ومن ثم يشيد الشاعر بالرئيس جمال عبد الناصر وصحبه الاخيار الذين شدوا ازره في ثورته الموفقة وانهم حقا من الرجال المؤمنين الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه، وان العدل كان رائدهم وعلى العدل تشاد الصروح (فالعدل اساس الملك) :

صاغات ماصاغوا سوى عرش العلا
للحق حتى ترتقيه سعيدا
سطعت على افق الكنانة شمسهم
نورا يعير النيرين سعودا
احكامهم والعدل يسند صرحها
هيهات عليها الدهر بات شهيدا
والصرح اثبت ما يكون دعائما
باهي الممالك عاليا وشديدا

لقد ابدع شاعرنا الكاظمي في تصويره الشعري الرائع عن يوم الجلاء ، وضمنه الحمد والشكر لله تعالى على انقاذه مصر يوم من عليها بالجلاء ، والحقيقة ان الشاعر الكاظمي قد تتلمذ على استاذه المرحوم احمد شوقي فكان يترسم خطاه وقد جارى في قصيدته هذه دالية شوقي المشهورة التي هي موضوع الجلاء ، وان براعة الاستطراد قد دفعته الى ان يضمن قصيدته بيت شوقي الذي احسن التخلص منه في آخر المقطع :

خشيت جوانبه السياسة فانثنت
توليه حقا كي تبر وعودا
نزلت على حكم الجلاء فصافحت
كفا يصافحها العلا تمجيدا
الحمد لله الكريم فيومه
عيد سيذكره الأنام سعيدا
(والله مادون الجلاء ويومه
يوم تسميه الكنانة عيدا)

ومن ثم فالشاعر يعود القهقرى الى سنين مضت فيتمنى ان يكون احمد شوقي حيا ليرى اليوم الذي تم فيه الجلاء على يد هؤلاء الفتية المؤمنين بربهم وقد زادهم الله ايمانا على ايمانهم لانهم وهبوا نفوسهم رخيصة في سبيل الله ، وليرتل اناشيده في هذا اليوم الأغر الميمون :

يا ليت احمد في الحياة واقره
بادي الفصاحة يرسل التغريدا
ويخلد الذكرى كاحسن ما يرى
في الناظمين شعورهم تخليدا

بغداد « عبد الخالق عبد الرحمن »

أسطورة شعبية أزباكستانية

الكريم والبخيل

تأليف : أ . بيندير
ترجمها عن الروسية : رضوان ابراهيم

اشترك كريم وبخيل ذات يوم في رحلة عبر الصحراء.

لم يفتح البخيل قربته التي يحمل فيها الماء ، ولا الحقيبة التي يدخر فيها طعامه مرة واحدة ، بل ظل طوال الوقت يأكل من خبز الكريم ، ويشرب من مائه ، وظلا هكذا حتى جاء الوقت الذي شربا فيه آخر قطرة من ماء الكريم ، وأكلا آخر كسرة من زاده.

واخيرا وقفا ليستريحا في بقعة موحشة من الصحراء ، فاخذ البخيل يصب الماء من قربته ويشرب وحده ، ويخرج الطعام من حقيبته ليأكل .

اما الكريم فلما اضناه الجوع والظما قال للبخيل :

ـ انقذني ايها الصديق !

لكن البخيل صاح فيه غاضبا :

ـ انا لا احب مطلقا ان ابدد طعامي وشرابي لأصير في مثل حالتك هذه !

وركب جمله ، وخلف رفيقه وحيدا تحت رحمـة الاقدار .. ومضى !

ولم يستطع الكريم من شدة الارهاق والضعف ان يواصـل الرحلة . ولكي يشبع جوعه ، ويطفيء ظماه ، مد يده فتناول عودا من العشب الأخضر واخذ يمضغه .

كان لهذا العشب خصائص سحرية جعلته يفهم لغة النبـات والحيوان فورا . وحينما اسدل الليل ستاره سـمع تحت جنح الظلام اثنتين من السلاحف تزحفان وهما تتحادثان . قالت السلحفاة الكبيرة :

ـ عجبا لهذا الابله ! يكاد يقتله الظما ، وليس بينه وبين البئر سوى نصف ساعة !

واجابت السلحفاة الصغيرة :

ـ وانا كذلك اعجب من هذا الغبي الذي يكاد يموت من الجوع، وبالقرب من البئر خيمة بدوية يسكنها رحالة عنـده الكثير مما يشتهي من اللبن واللحم .

ولم يكد يستمع الى حديثهما حتى تحامل على نفسه ، وركب جمله ، واسرع الى البئر ، وهناك شرب حتى ارتوى ، وتعشى عند الرحالة المضياف حتى شبع ، وفي النهاية اشترى من الرحالة ما يكفيه من المئونة ، ثم واصل السفر .

اما البخيل فحين رآه يشتري اللحم والدقيق ، ولاحظ ان كيسه ملىء بالنقود ، اقتفى اثره ، وهو يضمر له الشر .

واسرعا حتى وصلا الى منطقة آهلة بالسكان . وما كاد الكريم يستغرق في النوم أثناء استراحته الليلية حتى تسلل اليـه البخيل ، وسطا على كيس نقوده فسرقه ، وامتطى جمله واسرع في الاختفاء .

ولما استيقظ الكريم ولم يجد كيس نقوده استبد به الحزن ، ولكنه لم يستطع ان يفعل شيئا ، فحمل متاعه ، وسار في طريقه

وبينما هو يسير سـمع حديثا بين طائرين يقفان على غصن شجرة .. سمع احدهما يسأل الآخر :

ـ من أين يا سيدي تحمل الى عشك هذه النقود البراقة ؟

واجاب الطائر الآخر :

ـ هنا .. تحت شجرة الحور العالية يقيم فأر كبير ، وقد عثر على كنز من كنوز اسرة القيصر ، وهو يلعب دائما بقطع النقود الذهبية ، وليس من العسير علي ان اسحب من تحت انفه ما اريد من النقود دون ان يراني ، فانه اعمى !

وذهب الكريم فحفر حول شجرة الحور ، حتى عثر على كنز اسرة القيصر .

وصل الكريم الى المدينة ، ونزل في استراحة المسافرين . ولم يكن بطبعه يأسف على شيء ضاع منه ، فتوافد عليه الفقراء يطلبون احسانه ، ولم يخرج واحد منهم دون ان ينال مطلبه .

وراه البخيل وقد اغتنى ، واصبح يعيش في سعة ، ويوزع احسانه على المحتاجين .

واستبد الحقد بالبخيل حتى اطار النوم من عينيه ، فلم يطق ان يصبر الى الصباح ، بل ذهب الى حاكم المدينـة على الفور ودخل عليه قائلا :

ـ ايها الحاكم العظيم ، ان في استراحة القوافل بمدينتـكم لصا ملعونا ، سلبني مالي ونحن في الصحراء ، فمر بالقبض عليه

وذهب الحراس الى الاستراحة ، وقبضوا على الكريم ،وانتزعوا منه النقود ، واحضروه الى الحاكم ، فصاح فيه الحاكم :

ـ انت ايها اللص .. عقابك غدا !

وسأله الكريم في دهشة :

ـ لص ؟ ممن سرقت ؟ وما الخبر ؟

لكن الحاكم لم يشأ ان يستمع له ، بل امر بوضع النقود في خزانة ، ووضع الكريم في زنزانة داخل السجن ، وطرد البخيل!

جلس الكريم في زنزانته القذرة المظلمة وقد استسلم للاحزان ، واخذ يفكر :

– ترى من اين جاءتني هذه التهمة ؟

وفجأة تسلل داخل السجن فاران ، ودار بينهما الحديث التالي :

قال الفار الأول :

– يقولون ان للحاكم ابنة جميلة جدا ، لولا انها للاسف عمياء !

واكمل الثاني :

– ويقولون ان الأميرة اذا شفيت فسيمنح الحاكم طبيبها حملا من الذهب !

وتنهد الفار الأول قائلا :

– ان دواءها سهل ، لولا ان هؤلاء الناس اغبياء !

وسال الفار الثاني :

– وما دواؤها ؟

عندئذ قال الفار الأول :

– في البرية قطيع يرعاه راع اصلع اسمه عبد الله ، في هذا القطيع عنز عجوز ، لو اخذ من لحيتها شعرتان ، واحرقتا،ووضع رمادهما في عيني الأميرة فانها تبصر في الحال .

وخرج الفاران بعد ان كان الكريم قد استوعب حديثهما فاخذ يصيح :

– انا طبيب ! .. انا طبيب !

واستمر في صياحه ، الا ان الحراس لم يعيروه اسماعهم في البداية ، لكن تحت تاثير الحاحه ذهب احدهم الى الحاكم ،فدخل عليه ، وقبل الأرض بين يديه ، وقال له :

– ان احد المسجونين يصيح من داخل السجن : « انا طبيب!.. انا طبيب ! » .

– احضروه على الفور !

احضروا الكريم ، فبادره الحاكم قائلا :

– اهو انت ايها اللص ؟ لماذا تصيح هكذا ؟ كلكم سواء،ومع ذلك فقد دنت نهايتك على اي حال .

واجاب الكريم :

– لست لصــا ، انا طبيب كبير ، ومع ذلك فاذا كنت تريد الاساءة الي فليس عندي وقت لاقابل الشر بالشر ، ان مهمتي ان اعيد الى الأميرة بصرها .

لم يثق الحـــاكم في كلام الكريم ، ولكنه امر الحراس ان يرافقوه الى المرعى وهناك وجد الكريم قطيعا من الماعز يرعاه الراعي الأصلع عبد الله ، فانتزع شعرتين من لحية العنز العجوز ثم عاد فاحرقهما ، وداوى بهما عيني الأميرة ، فعاد اليها بصرها .

فرح الحاكم فرحا عظيما بشفاء ابنته ، وغمر الكريم بالذهب، وخلع عليه الملابس الفخمة المرصعة على اكتافها بشارات الامارة ، وعلى صدرها باوسمة الشرف والفخار

وبينما الكريم خارج من القصر في ملابسه الحريرية ، ومعه الاكياس المليئة بالذهب ، اقترب منه البخيل ، وحياه بخضـــوع ومسكنة ، فساله الكريم :

– ماذا تريد ؟

فاجابه البخيل :

– اوضح لي لماذا يسعفك الحظ دائما ، اما انا فتنصبالنكبات كلها على راسي ؟ لقد تركتك في الصحراء وحيدا لتموت منالجوع والعطش ، فلم تمض ساعات حتى وجدتالبئر والرحالة الضياف، وسلبتك كل نقودك ، فما هي الا ايام حتى صرت من الأغنياء ، ووشيت بك عند الحاكم ، فقبضوا عليك ، وانتزعوا منك كل ما تملك ، ورموك في سجن مظلم ، وبعد ايام اذا بك تغتني من جديد .

اما انا فماذا حدث لي ؟ ضربني الخدم بالعصي ، وطردونيخارج القصر .

لم يشا الكريم ان ينظر في وجه البخيل حتى مجرد النظر ، فقد سبب له الكثير من المتاعب ، ولكن طبعه الكريم جعله يشفق عليه ، فدله على العشب السحري قائلا :

– تناول هذا العشب ، وحاول ان تستمع الى احاديثالوحوش وسوف تعرف اسرار العالم .

لم يتوان البخيل دقيقة واحدة ، ولم يقدم للكريم حتى كلمة الشكر ، بل ركب جمله ، وانطلق مسرعا الى الصحراء ، واخذ يبحث عن العشب السحري حتى وجده ، ولما تناوله بدا يفهم لغة الحيوانات ، وقال البخيل في نفسه :

– لماذا استمع الى احاديث الحيوانات الصغيرة كالســلاحف والطيور والفئران ؟ ان الحيوانات الصغيرة ليس عندها ســوى اسرار صغيرة ، اما الوحوش الكبيرة فانها بلا شك تعرف الأسرار الكبيرة .

قام البخيل بجولة في الصحراء ، فراى اسدا ، ونمرا ، وذئبا، وثعلبا وهي تدخل احدى المغارات ، فقال في نفسه :

– حسن جدا .. هذه هي الحيوانات التي ابحث عنها بالذات!

كان البخيل جبانا ، ولكن الجشع تغلب على جبنه ، فاندفع داخل المغارة التي كانت ماوى للحيوانات المفترسة .

وعند الصباح اجتمعت الحيوانات وسمعها البخيل تتحدث ، وفهم ما تقول ، فاذا الأسد يزار قائلا :

– انني اشم هنا رائحة ادمي !

وزمجر النمر قائلا :

– اجل .. يوجد هنا شخص ما !

وعوى الذئب قائلا :

– حقا .. لابد ان يكون هنا شخص غريب

وقهقه الثعلب في سخرية :

– اتدرون من هنا ؟ انه البخيل ، وقد جاءنا فيالوقتالمناسب، لقد وصل الينا في وقت الافطار .

سمع البخيل كل هذا ، وفهم ما تقول الحيوانات ، واستسلم للموت وهو يراها تنقض عليه ، فتفترسه ، وتاخذ من لحمهطعاما شهيا لافطارها .

« رضوان ابراهيم »



الثقافة
أسبوعية
تصدر كل ثلاثاء
الرسالة
أسبوعية
تصدر كل خميس
المجلة
شهرية
تصدر يوم (٥)
الشعر
شهرية
تصدر يوم (١٠)
القصة
شهرية
تصدر يوم (١٥)
مجلات
الثقافة والارشاد القومى